هذا هو الكتاب الثاني من تأليف
فتح الله افندى مراش
وهو مشهـــد
الاحوال

م

هذا هو الكتاب

حال الكون

وجود لا حد له ولا مدى وبدء ليس له ابتدا يفوق طول العيان فلم
يره بشر قط ويسمو على ادراك الاذهان فلا يمثل له الا ذاته فقط حتى اذا
مالح كمالاته المجده واستملح غناياته المؤبده أوحى الى الابواب
السرمدية فانفتحت وأوعز الى غوامض الحركة فاتضحت فاندفع الغبار
الكوني من تلك المصارع الدهريه وانتشر في هاتيك العرصات الابديه
واذ تبلبل بعضه تسلح بالتجاذب وحمل حمل التحارب فانطبق كل
على قرينه بالالتصاق طبق ايعاز الخلاق فنجمت العوالم الكرويه
شموسا وكواكب دريه وانطلقت ثانويات تلك الملاحم الكونيه
أجيج شب من صراع ذلك الجم الغفير فاحرق دقائق الاثير حتى انبجس
نور الاحتراق وأنار غسق الانطباق فكانت الحرارة في الاكوان
نظهور النور للعيان ولما استكملت تلك البخاريات جمادا بعد
انتقادها أجيالا وآمادا نضجت نضوج الثمر في الكمام وانشغل الفضاء
بالاجرام وهلك منها البعض كعطارد والارض ولما أصدرت الحرارة
عنصر الضو تمازجا فانبثقت منهما كهرباء الجو فهلك ثلاثة متواليه
قمن في ذات واحده فمحصت الكائنات وتحركت الساكنات
وتنوعت الحركات وتجنست وتفاقت الآثار وتكردست واذ الاحت
الارض لتلك المؤثرات صلعاء قفرا قالت فلنكسها باذن الله جمال
البردة الخضرا فانضم عنصر النواريات النواهض واتحد أصل الماء
بأصل الحوامض حتى ترتبت الاصول فتداخلت بالاتحاد وتفاعلت
على بعضها المواد وهكذا نهضت الحياة بين تلك الاصول الراقده

فتنبهت الى النموّ والحركة سواكن الذرات الجامده فهب النبات للحال من وراء تلك الفواعل الغارسه حتى اخضرت اليابسه وأصبحت الوحشية مأنوسة وآنسه فما كان الله ليرضى أرضا بلاسكن وقوتا بلا بدن ولذلك دعا تلك القوة الحيوية الى التعاظم ونبهها الى التراكم فتعاظمت القوة الحيوية وكملت وشملت أصل الحركة وحملت حتى انتشرت النطفة الحيوانيه بعد استكمالها مقوّمات البنية العضوية فاخذ الحيوان يتحمل ويتكمل ويتوالد ويتسلسل ولما تعدد أنواعا طلب أتباعا فحمل كل على قريبه حمل البعول حتى برزت المسوخ والنغول وهكذا حمل الهواء جانحه والماء سابحه والتراب سارحه ولم يلبث ان خلق الله الانسان فكان علم الاكوان

﴿حال الجماد﴾

نزاع دائم فى دقائق الجماد وصراع لا يفتر له اتقاد فاذا انطبقت العناصر تصاب بالجمود والقرار واذا تحللت انتشرت أو سالت الى أهوية وبخار فالصخور تتحلل والمياه تتسلسل والهواء يتبلبل فحراك لا يقف مداره وعراك لا يقرّ قراره وبذلك تحترق المعدنيات فتنهض المرتفعات وتذوب الجامدات وتجمد السائلات وتفقد العيون سلسالها وتزلزل الارض زلزالها وهكذا لا يزال الجماد بين اجتماع وانفصال وسلام وقتال ولا تبرح الحركة بين اقتراب وابتعاد وخمود واتقاد حتى تقوم الكائنات المختلفه وتبرز الاصول المتصفه بالحياة والشوران كالنبات والحيوان

﴿حال النبات﴾

فهب النبات من مرابضه الحيويه وانتشر على سطح الكرة الارضيه فتوّج الجبال ووشح التلال وظلل المنحدرات والوديان وجلل السهول والعيقان فتكلل الشجر بالسحاب والتحف النبت بالضباب ومازالت الطبيعة تفلح المثوى والارض تصلح المأوى حتى تنوعت

الاجناس وتحددت وتفردت الانواع وتعددت فذهب النوع يحمى ذريته والشخص يحفظ بنيته فاعضاءتهم بالتثبيت والتشييد وأخرى تخدم للتوليد والتجديد واجزاء تردغارات التقلبات والآت تردع طبائع المؤثرات كتضعيف اشتداد الضو وتلطيف كثافات الجو فالزهور تبتسم عن أصول الحياة القوتيه والجزور والاوراق تستقى وتتقى المواد الغذويه على حالة البهيميه فيتقوم الجهاز العضوى ويتشيد الدنيان الحيوى ليكون طعاما للحيوان ومقاما للانسان فكان النبات طباخ الاكوان والحيوان أكال الالوان ولما كانت الحياة عرضة للعوارض وموقعا للقوارض جعلت اجناد ذلك الوجود الاكبر تغذو قوائم هذا الكون الاخضر فبينما الجذوع تتيه بقاماتها النضره والاغصان تزهو بأوراقها الخضره والرياض تبتسم بأزهارها الدى سقوط الانداء والغياض تهتز بأدواحها رافلة بمطارف الافياء يهب الجو عليها براحات أهوائه وسافحات أنوائه فتنقض الصواعق آخذة بالجذوع فتاصب بالهجوع وتفتك السيول بالجزور وتنثر عقود الزهور فبينما الكل يكون ملاعب الحوادث الجماديه وفرايس الطبيعة الحيوانيه لاخراجها عن فصلها وايلاجها فى أصلها

﴿حال الحيوان﴾

ولما استكملت الحياة اتقانه وأحسنت القيام احسانه تحركت على الارض فكانت حيوان وانتقلت بالارادة الى كل عيص ومكان فربض الوحش فى الاجار وسكن الطير فى الاوكار ونام السمك فى الابحار والانهار وهكذا سار البعض على الاربع وساح والبعض خفق بالجناح على الرياح والبعض فى الماء سباح ولما على مائدة الحياة أمكن النقاء الشديد بالضعيف والثقيل بالخفيف والكبير بالصغير والطويل بالقصير انشأ الكل قتالا وخصاما فكان كل لسواه طعاما وهالك انيابا تمزق تمزيقا ومخالب تشقق تشقيقا واظفارا

تنشب نشبا واطرافا تضرب ضربا فعراك عظيم لا يخمد شراره ونزال أليم لا يفتر أواره والموت يفتك فتك الشجيع وهو خاتمة الجميع

﴿حال الانسان﴾

ولما تم الانسان فى جنسه وعلم علم نفسه نظر الى الكائنات فادركها وجد وراء المعرفات فادركها حتى اذا ما أطلق على المحيطات به نظر المنتقد وميز الاشياء وفصلها بفكره المتقد مالث ان مد على الكل ظلال رايته واخضع الجميع تحت رياسته واذا أخذته جامحة الطمع وغلبت عليه ملكة الولع وهام بحب الذات وبالفوز على الذوات ثارت الموجودات عليه بطبائعها ونهضت ضده الاكوان بشرائعها وأخذت تدافعه وتصارعه وتطالبه الوجد وتنازعه فنضى سيف حكمه وحكمه وأخضع الكل تحت قدمه فكان غلبه غلبة عليه وادراكه مصيبة لديه لاسيما اذ عرف الزمان وميز بين الآن والآوان فغدا يصارع الحاضر ويرتعد من المستقبل ويأسف على الدابر فراحت الحوادث تطارده والايام تعانده حتى أصبح هدفا للاحوال وعرضة للاهوال تارة يهيم بطلب المسرات وتارة يضج فى حرب المضرات وبينما الملذات تحيط بقلبه تحدق الآلام بلبه فما ابتسم الا وبكى وما شكر الا وشكى واذا فرح بضع أيام حزن بعض اعوام فلا بد لافعاله من رد ولوصله من صد يرى الدنيا دها قابا للملذات ولا تسقيه سوى الآفات فيعيش فريسة لآماله ويموت خائبا من كل أعماله وهاك هذا المقال منسوجا على ذلك المنوال

صاح بى الدهر فاتبعت مسيره ✻ لا ارى أين أين مصيره
ظل يحدى ظعنى على الارض حتى ✻ ظلع الظعن والطريق عسيره
قلت يا دهر هل قرارى بعيد ✻ قال لى انظر بعينك الشريره
فتأملت أين سرنا وصرنا ✻ واذا نحن وسط أرض كبيره
قلت هذا المقام قال نعم قلت وماذا يدعى فقال الحيره

قلت لاخرت ذا الخلق مغتما * ظاكوحش بأعين مستديره
قال لى صه يا عاصيا فهنالك قد * سقت كل الورى فالك خيره
قلت أنى ولم أجد غير قفر * فيه أبكى وحدى دموعا غزيره
قال ما أنت وحدك اليوم بالك * كل عين بدمعها مغموره
* انما المرء لا يرى غير بلوا * ه فلا بن الانسان عين قصيره
فتمعنت برهة واذا الاشياء بانت لباصرى والبصيره
قد رأيت الانسان ملقى على الار * ض كملقى بحر بقفر جزيره
تايها بائسا وذهر الشقايد * عوه فى التيه أن يكون سميره
يطلب النصر فى منازلة البو * سى وهيهات ان يصيب نصيره
واذا ما الآمال سرته فالخيـ * ـبة تأتى لكى تزيل سروره
كل نفس مطلوقة اسر قصد * وبقيد الصروف أضحت أسيره
فدموع تهل من كل عين * ترمق الدهر وهى منه ضريره
وقلوب تضج فى لهب اليأ * س من الفوز بين غير وغيره
* فلوك تدور فى طلب الملـ * ـك فتمسى على الفنا مستديره
يستثيرون جمرة العنف والدنـ * ـيا عليهم نار العفاء مثيره
ورجال من كل وصف وصنف * وذوات من كل شان وسيره
كلهم راقصون فى مرسح الدنـ * ـيا وكل يبكى بعين كسيره
وكذا الكل منشد نغمة العيـ * ـش ويشكو سروره وشروره
فجميع الانام راكضة ركـ * ـضا الى القبر وهى عنه نفوره
عند ما هذه الجرائح بانت * لى ودهرى أفادنى تعبيره
قلت والله لا طربت بعيش * فى زمان أنا غدوت خبيره

* حال الرجل *

فولج الرجل فى الدنيا حاملا على كاهله البلوى فكانت له بئس المأوى
ابان اندفع يغلى الثرى ليستنبت القوت بالشقا فيحيى باذل القوى وما
بدون ذلك يحيى ولا حياة من السوى فسقى الارض من عرق الجبين

وروى وبقوته شددها وقوى فانبتت له الخبز وأعارته الحمى وأنالته
الداء والدوا واحلته المحل الاعلى فارتقى وتعلى وسعى فى سبيل
الكدح واعتنى فحسن لديه المسعى وطاب له المرعى ومازال ان تصلف
وطغى وعلى الخليقة بغى فدك الاطواد العليا ونسف ثبيرا ورضوى
ليمهد المشى فيبلغ الاقصى ويقصر المدى واقتلع الشجر الاقوى
وفطر الصخر الاقسى ليبتنى السرادق والمغنى فينعم فى ظل المأوى
ونحر الانعام ليشبع ويتقوى واستخدم البهائم ليتسلط ويتعلى حتى
اذا ما على الكل استوى وأمد حكمه حتى الى السهى نهضت ضده
الدنيا وشنت عليه غارات البؤسى فانكرته النعمى فارتد يخبط فى
البلوى ويهيم فى وادى الردى على طريق الفنا حيث يرجو المنى
من أيدى المنى حتى جعل يضج بالشكوى ويطلب الخلاص فلا يعطى
فذهب يستوجد اقدارا وقضى ويستوجب أحكام الخفا فامل وترجى
وبالاوهام تملى وعلى المحال دنا وتدلى فلولا الرجا والذكرى لبخع
بنفسه وقضى والى ربه مضى

ماذا تشاهد فى دنياك يا رجل * ماذا ترى فى وجود كله وجل
ذا مرسح فى خباه الدهر يلعب ما * يستحضر الصاحبان الباس والامل
حكمت فى الارض مطلوق اليدين فلا * يعصاك بحر ولا سهل ولا جبل
كل الخليقة قد ألقت أزمتها * فى راحتيك فانت السيد البطل
فما لعينيك تبكى وهى راضية * ومالقلبك يشكو وهو مبتهل
خلقت للكد فى هذه الحياة فكن * ماشئت سيان منك الكد والكسل
وقد سلكت على هذا الثرى هدفا * لكل ضيم فلا ريث ولا عجل
لكل سن هموم للفتى وعنا * لا ينقضى الهم حتى ينقضى الاجل

حال المرأة

ولما استوت الطبيعة على كيانها * وتمكنت فى بنيانها * طلبت
الحفاظ على دوامها * والذب عن قيامها * فكانت المرأة ظرف

تلك الظروف * وغصنا دانى القطوف * فبادلت الرجل نظرات
الاقتراب * وغازلته مغازلة الاحباب * فرتع فى رياض جمالها
واقتطف ثمرات كمالها * حتى تماوظائف الاقتران * وحفظا نوع
الانسان * وقد أشير الى ذلك فى ثمرة العصيان * فجبلت المرأة
وتوجعت * وتمخضت وتفجعت * فاندفعت الى التربية والرضاع
وتهذيب البيت والمتاع * بينما الرجل يفلح الحقول * ويستغل
البقول * ويكدح ويكد * ويجهد ويجد * ولما أغناها شأنها عن
المتاعب الدنيويه * والمصاعب الارضيه * وقعت فى هموم الهجس
وغموم الهدس * فتطلبت الحلى والحلل * وهامت بالرقة والغزل
لتختلس نظرات النواظر * وتسترق خطرات الخواطر * حتى اذا لم
ينجع رغابها * ولم ينجح طلابها * رجعت بصفقة المغبون * ذارقة
عبرات العيون * وتنظر الى المرأة نظر المتعجب * وتقول كيف هذا
الجمال قد غلب * واذا ظفرت بالمطلوب * وانتصرت على القلوب
تاهت بفوزها وتباهت * وبدلالها تناهت * وكلما دنت فاستدنت
ولوت فاستولت * وللتصابى أولت * واذا نفيس نفس أهملها
وفى غرورها أمهلها * رجعت فاسترجعت * ونجعت فاستنجعت
ولم تزل بين ورد وصدر * وبيان وحسر * الى أن تسقط دولة ذلك الجمال
الباهر * وتذبل زهرة ذياك الشباب الزاهر * فتعود تصدع الاذان
بقصص صباها * وسير مرباها * ولا تشتغل حينئذ الا بجمع الاشباح *
وبتفريق الارواح * فتصيح خابطة خبط العشواء * وضائعة فى الغارة
الشعواء *

الحسن فى الوجه سريع الزوال * فلتعلم الحسناء ذات الدلال
الحسن سلطان يسود على * عرش الصبا ان زل ذاك زال
يصبح فى عجز فنصدمه * وكم وكم سطا علينا وصال
اليوم وجه حسن وغدا * يلبس هذا الوجه أقبح حال

فتحتفى

فتختفى أنوار ذاك البها * وتنطفى جمرة ذاك الجمال
السيف ينبو والقنا تنحنى * وليس يبقى للنزال رجال
ياربة الحسن جمالك لا * يدوم الا كدوام الخيال
فحسن وجه ذاهب كالهبا * وحسن طبع راسخ كالجبال
فجملى الطبع وحلى النهى * لتقتنى الحسن العديم الزوال
هذا هو الحسن البسيط وما * للجوهر البسيط قط انحلال
لا ينفع الفرع اذا لم يكن * للأصل نفع كيف صال وطال
الفرق بين الفرع والاصل مثل الفرق بين الدين والراسمال
فليحذر الافلاس من لم يكن * ذا راسمال والدوام محال

أما المرأة فهى جوهر بديع البنية واللطافة يشف عن كل رقة وظرافة ولذلك فهى شديدة التأثر كثيرة التفكر سريعة التذكر ولها فى الفهم عقل دقيق وفى العلم ذهن رقيق الا أنها بطيئة الاختراع والتبيان سريعة السهو والنسيان ولشدة تأثرها وغموض تبصرها كانت حليفة الجبانه سهلة الامانه ومن شأنها حفظ الوداد والادب وسرعة زوال الغضب فلقلبها الوفا ولطبعها الصفا وبالاجمال انما المرأة جوهر الانسان وأجل كيان رغم كل عدوان

انما المرأة للمرء نصيب * وشريك ورفيق وحبيب
لا يطيب العيش الا معها * كل عيش دون الف لا يطيب
واذا ما فكدت عيش امرء * ليس تبقى فهى داء وطبيب
ما دعا تنكيدها يوما سوى * رجل عن معشر الانثى غريب
واذا ما عقد الدرعلى * عنق بغل لاح فى لون كثيب
وكذا الزنبق ان قرب من * أنف تيس عاد فى ريح كريب
هكذا كل لطيف فاقد * لطفه بين كثيف ومعيب
فاعلموا يا علما يا شعرا * يا صنوف الناس يا كل أديب
ان كل اللطف والظرف لقد * جمعا فى ذلك الجنس العجيب

أيها الجانى على مرآته * أنت والله من الذوق شحيب
ئس من يفتك بالانثى فما * هى الا مثل شاة وهو ذيب
أى فضل لصقور فتكت * بحمام أو لليث بربيب
واذا سلطان الطبع على * جسمها فالعقل سلطان مهيب
من غدا محكوم طبع ناشف * بات مرذولا من الطبع الرطيب
انما الزوجان ما بينهما * حق عهد متساو لا يغيب
فعلى ذى العهد أن يحفظ ما * أوجب العهد وان خان يخيب

حال الطفولية

هذا هو الدور الاول لحياة الانسان والغلوة الاولى فى طريق الزمان حيث يقال للداخل طفلا مولودا وللخارج شيخا مفقودا ولما كان الانسان فى هذا المدخل عديم البصيره خالى السريره عاريا من كل الكمالات الادبيه غير حاصل على تمام الوظائف العقليه فلا يرى الا ما يقوم قربه ولا يشعر الا بما يستعطف قلبه فيلعب بالتراب ويذريه ويعبث بالتبر ويذريه ويسخر بالمقبولات والمردودات ويضحك على كل الموجودات فلا يهتم الا بطلب الغذا ولا يحفل الا بما يورث الاذى واذا لا يبرح طائشا بخفة بنيته وضائعا فى تيه نيته فلا يسمع دوى ضوضاء العوالم ولا روى قوا فى العظائم بينما يكون باكيا تحت تأثيراتها وفواعلها ومتحركا وساكنا تحت جوازمها وعواملها ومسرعا فى طريق حياته الى الدخول فى أبوابها والغوص فى عبابها فليت عينيه ترى ما يستقبله من الاوصاب وما يستنظره من الاتعاب فما الثدى الا رمز الردى فى طلب القوت وما المهد الا اشارة التابوت

حال الفتوة

هذا هو الدور الثانى للحياة الانسانيه والمساحة الاولى لانتشار القوى العقليه أو التل الاول فى طريق الاجل ومسلك العمل فيصعد الانسان عليه وينظر العالم بعينيه فيراه مشهدا بديع الجمال ومرسحا

تلعب به الامال وترقص فيه الملذات والامانى وتحوم حوله البشائر والتهانى فتشمله شمول هذا الظهور وتلعب برأسه حمية هذه الامور فيبيت سكران بالافراح ومأخوذا برنين تلك الاقداح فيبسم مدى الأوقات ولا يعلم ما الآفات اذ يظل ملتفا بكساء الآمال ومحتفا باوهام الاعمال فلا ينظر الا الى ذاته ولا يحفل الا بصفاته هائما فى ملاهى دنياه ومتهافتا على حداثة قواه وهكذا فيهبط فى وادى هذا العالم الملم ويخبط فى ذلك البحر الخضم ولا يزال بين هبوب وانكباب الى أن ينشله الصواب ويدركه الشباب

﴿حال الشبوبية﴾

أما الشبوبية فهى الدور الثالث للاجل ومحل الكد والعمل وموقع اليأس والامل حيثما يوجد الانسان ضائعا فى مفازة العمر حائرا فى تنوفة النهى والامر فيرى نفسه قائما فى وسط هذه الدنيا ممنطقا بكافة الاشيا ملتطما بامواج العالم واهوائه مصروعا ومأخوذا بضجاته وضوضائه وهكذا فتنهض فى قلبه ثورة الحواس وتشب فى دماغه نار الوسواس وتصغر فى سريرته ريح الاهجاس فيندفع الى منازلة الاقدار والايام ومقاتلة الحقائق والاوهام فتارة تهب به الآمال الى اوج الافراح والمسرات وطورا تكب به الخيبات فى حضيض الاتراح والحسرات يرى العالم قريب المنال فيندفع وراءه على متون الاهوال حتى اذا ما ظفر بالبعض طمع بالكل واذا فاز بالشبح رغب فى الظل فلا يكون الا مضغة فى أفواه المطامع وكرة تتلقفها القوامع ولذلك انما يوجد مهبطا للحوادث الحدثان ومسقطا لمكائد الزمان ولا تزال زهرة هذا الشباب الزاهى بين ذبول وافتراز ولا يبرح بدر هذا العصر الباهى بين خسوف واسفرار الى أن تنثر الشيخوخة تاج تلك الزهره ويصفع الهرم وجه هاتيك القمره حيثما يسقط الشباب من فرشه ويرتفع المشيب على عرشه

حال الشيخوخة

ان حياتنا هي بخار يتصاعد قليلا ثم يضمحل نعم كل يضمحل كالضباب حتى الجبال تمر مر السحاب فلا دوام للوجود ولكنما العدم محال ولا طمع في الخلود فكل مركب للانحلال فلا يزال الانسان سائرا في طريق عمره سير المسافر في القفار الى أن يبلغ رابع الادوار وهو دور الدثار هذا اذا أمكنه الخلاص من لصوص الحوادث والمناص من الأسد الكوارث ونهبة الاعراض وقتلة الامراض فيلبث هنالك منهوكا من تعب المسير ومضض التأثير اذ يعود مخنيا تحت أحمال الحياة وأثقالها ومرضوضا من صدمات الدنيا وأهوالها فتصمت ضوضاء حواسه وهواجسه ويخرس رنين أنفاسه ووساوسه فيكف بصره وتجف فكره ويقل ذوقه ويكثر شوقه ويبخل حتى بالفلس ويزيد حرصه على النفس ويجود بالقلس فاذا التفت الى ورائه ورأى الدنيا التي قطعها والطريق التي تتبعها ظهرت له الاشياء أشباح أحلام ومراسح أوهام وكلها تجري نظيره الى الزوال كالطيف والخيال فيضحك على الجميع ضحك الطفل الرضيع اما اذا التفت الى الامام وطمع ببقية الايام حن الى الوجود وهام بحب الخلود ولا يزال الماضي يدفعه والحاضر يردعه والمستقبل يطمعه حتى تختطف عمامة نفسه بازات المنية وتسلبه كل بغية وأمنية فيهبط هبوط البنيان ويغور في قبر النسيان حيثما تسترجع الكليات جزئياتها وتسترد المجموعات مفرداتها

حال العيلة

ولما أشعر الانسان برسوم وجوده وأدرك لزوم حدوده أنف الشتات والانفراد وطلب الزواج والعقاد لينفصل عن هيئة الجهل ويتصل الى آداب العقل وفاقا لامكان نفسه وخلافا لعجز سائر جنسه فعاهد زوجته على حفظ العهد وحالفها على دوام الود وعلى قيود هذه

الشريعة أخذا يفلحان الطبيعة فجادت لهما بالاولاد وطبعت بهم لهما الانقياد فحن الاب الى بنيه ومال الابن الى أبيه وبقيام تلك الاحوال تقوّمت الاعيال وتبادلت بينهما الاميال وهكذا فالمودة الاقترانية والمحبة الوالدية هما أركان العيلة والذرية ولذلك فالنموّ يحرض الافراح والنقص يحضر الاتراح فبأن الويل للمفقود ويرن الهناء للمولود وما تلك الاعمار الطوال الا حياة أسماء العيال

﴿حال الهيئة الاجتماعية﴾

ولما تقوّمت العيال وتبادلت الاميال أخذت كل عيلة تقترب من جارتها بالزواج وتقابضها أدوات التناج فاشتدت الروابط بين البشر وانتصب عمود الوطر وشرع الناس يحاضرون والى بعضهم يسافرون حتى تشيدت بينهم المعاملات وتمكنت المبادلات فكثرت الحاجات الانسانية وتفاقمت الضرورات البدنية حتى التزم هذا الى ذاك واحتاج ما هنا الى هناك ومالبث ان انتظم نثار البشر وانضم البدو الى الحضر وهكذا قد استحدث الانسان شرائع الانضمام وأنشأ مواطن الالتئام فنهضت مطامع النفوس وحامت السعود والنحوس حتى ثار الناس على بعضهم البعض وجعلوا يسقون بدمائهم الارض فساد هؤلاء واغتنوا وافتقر اولئك وعنوا فقامت الملوك والرؤساء وتمكنت الاسياد والامراء حتى لقى الانسان ما جناه وهلك بما جناه اذ أضحت الرؤس تتهشم تحت مطارق السيادة والافكار تضل فى مناهج القيادة وأخذت الانسانية بما أبدعت من المتاعب ورجعت تشكو صروف المصائب فما مصائبها الا ما آربها وما أوجاعها الا اطماعها ولما احتاج الانسان الى لوازم الحياة الاجتماعية وبواعث السكنى الانتظامية أفضت به الضرورة الى التمدن والالتقاب ونجم الطبيعة بالآداب ليحسن نظام الجماعة فى سلك الاتصال وتسهل سبل الافعال والاعمال وتتميز الاشخاص المجتمعة وتتهذب الاطباع

المندفعه ومازال الاجتماع آخذا فى ازديادة والنظام سالكا فى
انعقاده والضرورة تجهد المجرى والعقل يجد بالمسرى الى أن اتصلت
القبائل بالقبائل ولحقت الاواخر بالاوائل

﴿حال البلاد﴾

واذا نظرت الى البلاد وجدتها ﴿ تشقى كما تشقى الرجال وتسعد
ولما سكن الانس فى الانسان وجمع بين أشتاته الاقتران ألف البادية
وأبى وألف الحاضرة وصبا فجعل ينصب المدائن ويغرس الجنائن
فعوّض الخيام بالقصور والدمن بالزهور والاوتاد بالدعائم القوائم
والاطناب بالقناطر العظائم فيتحاشى غوائل الاخطار وسوائل
الامطار حتى اذا ما اشتغل بمحل دون آخر حيثما المقام آثر هرع اليه
الجوار وأخذوا يستزيدون العمار واذا اتسع المحيط وعظم الخليط قيل
بنى الامير المدينه أودخل نوح السفينه وهكذا تنشأ البلاد وينتظم
شمل العباد وبقدر أهمية المركز تتسع الدائره وعلى قبول تلك السعه
تقبل الزائرة وربما أصبحت المدينة مقاما عميما أوعالما عظيما اذ تعود
مشهدا لعجائب الخليقه ومحل كل وهم وحقيقه فتموج فيها الناس
موج البحور وتصب اليها الركبان صب النهور وترن فى أسواقها قعاقع
الآلات وتحتبك فى شوارعها معامع المركبات وتنفتح ساحاتها لدخول
الملذات والآلام وتنطبق قاعاتها على عجاج الغموم والانغام حتى
تجمع بين الافراح والاتراح وتؤالف بين الفساد والصلاح فتكون
مرسحا لضوضاء البشر وموقعا لوقائع الصور ولم تزل تتقوى تلك القوه
وتتعظم تلك السطوه الى ان يحقد عليها الزمان وتنهرها طوارق
الحدثان فتأخذ بالرجوع القهقرى ونقصان العقرى حتى تصبح
رمة فى البوادى ومندب الروائح والغوادى وهالك بابل ونينوى وصور
وماشاكلها من ربات السور ومن يعلم ماستؤل اليه مدينة باريس
هذا المقام الاعلى والبلد النفيس حيثما أنا الآن أسحب مطارف المرح

وأحسى كؤوس الفرح متمنقطا بعجائب الآثار ومنشدا على قوس الانتصار

﴿موشحا﴾

بان فى باريس لى كشف السما * فوق قوس النصر لا فى بطمس
حيثما عاينت فيها كلما * طاب للاعين أو للانفس

﴿دور﴾

يا أخا الذوق على ذا القوس قف * وأرسل الطرف الى كل الجهات
والزم الحذر فكم طرف خطف * عندما استعلى على ذى الباهرات
فترى كل جلال لو وصف * مثل الثابت فوق السائرات
كل شئ حير العقل كما * حارت الافكار بالملتبس
وأعاد الكف يزجى القلما * مالاقلام هنا من أرؤس

﴿دور﴾

غير رسم النور ما جال هنا * معجبا مرأته المستظهره
انما المرأة تستجلى لنا * ورق الغصن وتخفى الثمره
فكساق نحو ظام قددنا * حامل الطاسات دون المطره
ياصحابى يمموا هذا الحمى * أنتم السارون تحت الحندس
تغنموا الصبح وتعطوا علم ما * كل نطق دونه فى خرس

﴿دور﴾

انتى قد جئت باريس العلا * ورأت عيناى ما قد سمعت
شمت مالا نظرت عينى ولا * سمعت أذنى ولا روحى وعت
آه ماهذى المبانى والملا * هل بروج أم نجوم طلعت
كل حى أم جماد قد سما * وبثوب المجد والكبر كسى
مشهد يسطو على العقل بما * فيه من آى بها الدهر نسى

﴿دور﴾

مشهد هيهات يجلى للعيان * سره مالم تجل فيه الفكر

انما الظاهر حظ الحيوان * بينما الباطن حظ للبشر
كل شئ لك فى ذا الافق بان * يقتضى درسا طويلا وسهر
فهو من ابداع فكر العظما * فى زمان الغال لا الاندلس
لو أتى هذا الزمان القدما * ضرسوا أيديهم بالضرس

* دور *

أدر الطرف على هذا الامد * وتأمل ذى الدارى الزاهره
والانابيب التى مثل الغدد * تفرز النور لتغذى الباصره
وانظر الشهب المنيرات الجلد * كيف ترنو بعيون حائره
غلب الليل هنا فانهزما * وتوارى فى عباب الاطلس
فالسماء الارض والارض السما * ههنا فاعجب لذا المنعكس

* دور *

وترى كل رداح للغرام * وضعت وهى عليه تحمل
ذات قد هو للحسن المرام * صنم والردف منها هيكل
أين من عنده كالخوط القوام * وكتل الرمل ردف عبل
أيها الشاعر زر هذى الدمى * تكتسب منهن طيب النفس
هن فى باريس علم العلما * ولكل الناس كل الهوس

* دور *

ما بدت باريس فى هذى السنا * قط لولا حب تجميع النشب
زينوها بالمبانى والبنا * والغوانى والاغانى والطرب
فسعى كل اليها ودنا * ينفق الفضة فيها والذهب
ولذا المال عليها قد همى * مثل صوب العارض المنبجس
خلسة طوعية ما حرما * فعلها قط على المختلس

* وفى حقل الجنان أيضا قلت *

لست أدرى فى أى كون مكانى * هل أنا فى باريس أم فى الجنان
كل ما جاء فى السماع على الجنـ * ـة ألقاه ههنا بالعيان

ها أنا وسط جنة تحتها الانهار تجرى لكن بها كوثران
كوثر فاض من جميع ينابيـــع الامانى وآخر من أمان
هكذا أنثنى وخلى وقدا * مى مجال للحور والولدان
رب ليل قضيته واناسكرا * ن سكرين فى حقول الجنان
بين غيد وغرّ دوغدير * وغيوم وغيهب وغوانى
كان فوقى ورق وتحتى زهور * وعلى جانبىّ صدح المثانى
وسطوع الانوار من كل نبرا * س به البدر حار والغرقدان
ذى سماء تزينت بنجوم ال * حسن لا النهر مان والمرجان
فأمامى تجرى الكواعب من كل محيا يحمى جنان الجنان
سافرات عن كل سكر وسحر * باسمات والله عن مرجان
وعيون اذا رنت هبط القلـــب وأضحى يروغ كالسكران
حيثما الحسن فالهوى وهما الاكـــثر لعبا فى مرسح الانسان
فهما للحياة أصل كما اللا * ذوت أصل لبنية الحيوان
بهما الناس فى اتحاد وضم * فهـــما للجماعة العنصران
لم تصب ذا المقام باريس لولم * تك فى الارض أجمل البلدان
كلما ازداد حسنها زادت النا * س هجوما لذا الحما المنصان
فهى أضحت للخلق مجمع شمل * ولكل الغوانى مجرى رهان
ينفق الاغنياء فيها غناهم * فبها الرزق فاض كالغدران
واذا لم يعش أخو المال رغدا * فهـو فى فاقة وفى حرمان
كل ما فى باريس لطف وظرف * وجمال وصحـــة الابدان
ليس فيها الذى النقيصة من رأ * س ولو قد علا على الدبران
واذا النقص فى موازين ذا الدهـــر علا فالكمال ذو الرجحان

(أيضا فى حرش بولونيا)

من ذا ينبهنى فقالت لى أنا * قم فالدجى ولى وصبحك قد دنا
قم فالسماء نضت لثام ظلامها * والافق لألأ والسنا بلغ السنا

حتام كالخالى تنام ضحيّ فهل * عنى سلوت ولم تعد بى مفتنا
ولقد عهدتك ثابتا مثلى على * حب جرى ميثاقه مابيننا
فوثبت أمسح أعينى وأجبتها * أهلا وسهلا بالصباح وبالتسنا
والله قد قضيت ليلى باكيا * واذا غفلت فذاك مفعول الضنا
ندما على ماقد جرى أمس المسا * منى فها أنا نادم وأنا أنا
لولم أكن بك قد جننت لمابدا * سخط المحبة فاعذرى هذا الجنا
ولذاك لولم أهو عتبك مازنا * طرفى لغيرك قط يا كل المنى
فتمايلت ضحكا وقالت طب فلا * عتب على من يستخير الاحسنا
ان الخنانة للرجال سجية * وهم الذين الى النسا نسبوا الخنا
ياأيها الجنس الذى لايستحى * رفقا بجنس للحياء لقد عنا
فاجبتها والجفن يرشح كالوكا * والقلب من لهب الصبابة فى فنا
لابدع ان أكن استخرتك لى اذا * فوسحر طرفك أنت أحسن من رنا
ولانت أجمل من تجلى وانجلى * ولانت أعدل من تمايل وانثنى
فرنت الىّ بأعين لولم أضع * كفا على قلبى لطار به الرنا
وتبسمت كالبرق نورا والتوت * كالظبى جيدا وانثنت مثل القنا
واشارة لرضائها قبضت يدى * بيد تحاكى زنبقا أوسوسنا
وبدت تغازلنى وقالت كلما * يبنى على أس الهوى نعم البنا
فهبطت عن عرش الكرى مستبشرا * ورحضت وجهى وارتديت الاثمنا
وأخذتها تحت الذراع ضحوكة * وكذا خرجنا والضحى يذرى بنا
والشمس قد أخذت بقيظ هجيرها * تقلى منافسنا وتشوى الاعينا
فتخذت مركبة وسرنا سرعة * نسعى الى حرش ببولونيا اكتنا
حيث الرطوبة والعذوبة والصفا * حيث المسرة والمدار على الهنا
حرش كأن الغاب فيه من القضا * هلعت فبكت الغصون تحصنا
غاب بها الغزلان ترتع والمها * ترعى فلا وحش ولا غيل هنا
وهنا ضراب عيون عين لاظبا * وكذا طعان قدود غيد لاقنا

وسنادس بالاقحوان تسمطت * فحكت سماطا بالكؤوس تزينا
وخمائل بالياسمين تسيجت * فهناك سلطان الزهور توطنا
وجداول للروض منعطفاتها * أضحت أساور نعم هذا المقتنى
فاذا تاملت البحيرات التي * تجري هناك وبطها المتبطنا
لعجبت من بحر حرى فى روضة * ومراكب سارت عليه بلا عنا
والجاريات ومن تجشم نبعها * هبطت به أيان تنبعث القنا
شلالة يهوى الزلال مسلسلا * عنها ويرجع دائرا متعنعنا
عجبا لماء قد هوى متكسرا * وعلى الكسور تراه يرقص فى الغنا
فالصخر من جبس الثرى ورماله * لا ملح كلس قام من هدم القنا
وكذا من السين المياه جرين لا * من ذوب ثلج فى الجبال تمكنا
لكنما هيهات يمكن ناقدا * تمييز ذا المبنى عن ذاك البنا
وجميع ذلك صنعة الايدى فما * ليد الطبيعة من مواقع ههنا
ومذ اختفى ثقل النهار وجره * عدنا على الاقدام نطلب ربعنا

أيضا على جسر القناطر

بين صرح القضا وجسر القناطر * قف تشاهد باريس ملء النواظر
وتأمل ذا البشر هذى الامانى * ذلك المجد ذا السناذى المفاخر
حيثما الطرف جال جالت به الدهشة والعقل راح كالضب حائر
عظمات بهن دائرة الانسان دارت على جميع الدوائر
فقصور شمخن حتى على النجم كذا قد نطحن هام القياصر
وجلال ظل الاوائل عنه * فى نعاس حتى انتباه الأواخر
ههنا الكائنات تنفث بشرا * وجميع الوجود زاه وزاهر
ههنا الله قد أفاض على الكل * نعيما كالطل ما زال هامر
فثغور الرفاه باسمة الدهر وكاس الهنا على الكل دائر
والصفا خاطر بكل الخوافى * والهوى خافق بكل الخواطر
كل هذا الملا جميل ولكن * بعض هذا الجمال للعقل ساحر

فغوان يرتعن مابين غيد * سارحات كالخود بين الجآذر
محرزات الجمال من كل معنى * داعيات الى الهوى كل ناظر
كل نهد كالعاج والمرمر المنحو * ت مستكمل التخلق نافر
وقوام كأنه صنم الاسرار يوحى بعشقه للسرائر
هيكل الحسن واللطافة لم يحر * ق عليه سوى بخور الضمائر
وعيون سود على البيض تسطو * بانكسار يسبى الاسود الكواسر
يسترقن النهى بلحظة عين * ويصار عنها وهن فواتر
ووجوه يسفرن عن كل حسن * فيروحى تلك الوجوه السوافر
كل حسن وكل لطف عجيب * كل طرف به العقول حوائر
لانطاق يشين قدا ولاقد * غريق فى الازر أو فى المآزر
وبروحى رعبوبة فتنتنى * وأنا ماعلى الصبابة قادر
لى شغل يعيقنى عن غرام * فيه كل للعقل والرشد خاسر
كيف أهوى ولم أزل ضايعا ما * بين كتب وكاغد ومحابر
تارة أختفى بجزرة المو * قى وطورا فى الروض بين الازاهر
والهوى يقتضى كما قال زيد * أن يكون الفتى عليه مثابر
رب يوم قد مزق الافق عنه * برقع السحب والضيا كان باهر
أقبلت دون موعد لى وقالت * أترى هل ياغائب الدهر حاضر
ذا نهار ياه أجبت نعم قا * لت نعم أنت فيه لست بفاكر
قم بنا نغتنم دفاء نهار * مثله فى باريس ياصاح نادر
قلت و يلاه من مناخ به يغـ * ـنم يوم الدفاء فى شهر ناجر
فطبقت الكتاب والقلب فيه * وذهبنا لله صب مساير
وسرحنا حتى انتهينا الى عر * ض التصاو برحيث عرض الاعاصر
فأردت الدخول قالت وماذا * لك فى ذا المكان قلت مناظر
فأبت أن تذوق ذوقى وقالت * طول عمرى ماعدت أتبع شاعر
قلت انى أهواك ياسعد لكن * أنا والله عاشق للمآثر

فادخلى العرض أو خلى سبيلى * ان يكن أول فلابد آخر
فاستعاذت واستهلكت بى ضحكا * واقشعرت من ذا الجواب المهاجر
ثم لم ترض فرقة فوجئا * وأخذنا نطوف تلك المظاهر
وهى لى كالدليل تشرح ماقد * غم عنى شرحا كاحسن خابر
باصول كذى الصناعة حتى * خلت ذاتى مع ذات ميشيل دائر
فهى تدرى التصوير والرسم والالحا * ن والفن مثل كل الاكابر
ليت شعرى متى أرى فى بلادى * كوكب العلم والمعارف سائر
فرجال لايعلمون سوى صو * ف وقطن وسمسم وحرائر
ونساء يبحثن لكن على ثو * ب وقرط وخاتم وأساور
واذا الجهل عم مابين قوم * أصبح العلم عندهم كمساخر

﴿ومن هذا القبيل﴾

فاض على الغيهب نوء النور * فدكه وكان مثل الطور
واندفع اللألاء كالنهور * فهبط الظل هبوط السور

﴿وانقلع النجم من الجزور﴾

فاتشح المشرق بالاضواء * والتحف المغرب بالافياء
واستهل الشهاب فى السماء * ضحكا على هزيمة الظلماء

﴿وابتسم الاسير بالسرور﴾

والصبح ذو مكانس الشعاع * يسعى بكنس الظل فى البقاع
يرش ماء الوهج اللماع * فينشر الشعاع كالشراع

﴿وتنطوى غبايرالديجور﴾

وبالسنا تكهربت هام الشجر * فطار من أعينها الخضر الشرر
وزقزق الطير لايقاظ البشر * فنهضت من نومها كل الصور

﴿وانقذفت محاجر الزهور﴾

حتى اذا ما احترقت بالنار * ذقن الدجى وراح فى شنار
عانقت الكون يد النهار * وبيضت بقلم الانوار

﴿ماسوّد الليل على الاثير﴾

والبيد بالنور رغت وأزبدت ❊ كالبحر والهضاب كالموج بدت
واذ بذى الانوار باريس ارتدت ❊ أضحت كمرآة لجين وغدت
﴿تلوح فيها صور البدور﴾

من كل بدر لابس الكمال ❊ متوّج بالحسن والجمال
ذى غرة غراء تشجى الخالى ❊ ومبسم من كل عيب خالى
﴿بينهما الصحيح فى كسور﴾

الهة قامت لها فى الانفس ❊ معابد والنفس بيت مقدس
وما الى الزهرة منسوب نسى ❊ هنا فللدمى انتمى والدرّس
﴿هنا الهوى فى غاية الكرور﴾

وكيف لا يرخى الهوى عنانه ❊ والحسن أجرى دونه فرسانه
فكل قلب شاغل ميدانه ❊ وكل شغل واجد أثمانه
﴿ماضاع الا كل ذى قصور﴾

من لا يرى باريس فى دنياه ❊ لم يدر ما الجنة فى أخراه
ذى جنة ليس لها أشباه ❊ ماصاح فى جوارها ويلاه
﴿سوى عديم الذوق والفقير﴾

ليس لذى الفقر بنادى الارض ❊ من موضع ولا بوادى العرض
ما نال بين الناس غير الرض ❊ فحظه فى الارض حظ النبض
﴿أو حظ أوتار على طنبور﴾

باريس هذى مركز التمدن ❊ ومحتد العلوم والتفنن
ليس لقبح ضمنها من موطن ❊ فكلها حسن وما بالحسن
﴿ترك مكان الحسن والحبور﴾

حسن بماء اللطف والظرف سقى ❊ فاثمر العشق ومن لم يعشق
كم صحت سرا فى ضميرى القلق ❊ حيف على هذا الجمال المشرق
﴿أن ينطفى فى لجج الدهور﴾

أما كهذى بابل الازمان * فى عصرها ونينوى يونان
وهكذا تدمر بنت الجان * هاقد غدت جميع ذى البلدان
* ملاعبا للبوم والدبور *
يقضى على البلاد ما على البشر * فاليوم صغر وغدا يأتى الكبر
وبعد ذا موت ذريع منتظر * ذا بطل يفتك حتى بالحجر
* بين يديه منتهى الامور *
ما الموت الا تاجر الارواح * دهقان لم يشبع من الارباح
ما عنده فى القبض من سماح * وعدته أجرى من الرياح
* وقلبه أقسى من الصخور *
فلينظر الناظر أو فهو عمى * وليسمع السامع أو ذو صمم
وهذه الدنيا محل الغنم * فاغنم والا عشت عيش البهم
* واضحك على جماعة القبور *

وربما يأتى دهر تصبح فيه هذه المدينة العظمى مثل الخراب وراموز الانقلاب وقد أوحى لى امكان ذلك الاستقبال أن ألفق هذا المقال

قفى قليلا عروس الدهر وارتقبى * فان سيرك فى الاجيال والحقب
مهلا فانت على الاقدار سالكة * فى مسلك رقدت فيه من التعب
فى مسلك لم تزل أسد القضاء به * تغزو كذلك لصوص الدهر والخطب
تأملى ما على هذى الطريق ولا * تخفى عن الغير ما عاينت من عجب
تأملى بعيون الاعتبار وان * جهلت ما شمت فالتبيان فى الكتب
ماذا ترين وقاك الله ماذا بدا * لديك فى ذا الطريق الواسع الرحب
أرى فلاة ولكن لا فلاح بها * وليس من قائم فيها سوى خرب
أرى تلال طلول لحن فى بقع * تظللت بكروم الشوك لا العنب
أرى مهابط أبراج هوين كذا * عمدا فرادى فكالاوتاد للترب
أرى نهورا ولكن لا فراش لها * غير القتاد ولا جسر سوى النضب
أرى معاشر خلق ههنا سكنوا * لكننى لا أرى شخصا بلا ذنب

أرى حدائق لكن لا نبات بها * ولا سياج سوى الصفصاف والقصب
أرى الكآبة في كل العراص ترى * كذا أرى رجسات الحرب والحرب
أرى على السحب شيخا كله كبر * يسطو على الارض مملوأ من الغضب
كذا أرى منجلا للحصد في يده * ولا يزال على هبط من السحب
فهل علمت الذي عاينت من غير * وهل عرفت الذي شاهدت من عجب
هنا بلاد على ذا الشوط قبلك قد * جدّت فجدّ عليها الدهر بالطلب
والنحس هب عليها من مرابضه * وحاوطتها اغتيالا غارة النكب
ضاعت وكان عليها الدهر أحرص من * يد البخيل على صاع من الذهب
ذي بابل أينها ضاعت هنا وكذا * ذي أختها نينوى سلطانة القطب
صور وتاجرة الدنيا وجارتها * صيدون أصبحتا أعجاز منقلب
كذا هنا قد مر قد مرت ووهت * ومنبج لم يعد منها سوى اللقب
فها بلاد على كل البلاد سطت * وأرسلت كبرها حتى الى الشهب
تهدمت وانمحت آثارها وعفت * ومزقتها نحوس البؤس والعطب
وبعد ضوضاء ذاك الضجيج غدت * تمور تحت سكوت الموت والكرب
وكل أسوارها والناس قد حصدت * عمدا بمنجل ذاك الشيخ ذي النوب
هذا هو الدهر لا يرضى على فئة * دوام ملك ولا سيف على جنب
فسوف ينظر هذا الدهر نحوك يا * باريس نظرة لص نحو ذي نشب
وهكذا يسرق الآثار منك ولا * يبقى سوى أثر في الكتب محتجب
حتى اذا ما جرى ذكرسنالك على * سمع يقال روايات من الكذب

حال الشرق

ههنا وجد الانسان الاوّل وعلى هذه الارض كان المعوّل فالشرق مهد الانسان ومبدأ الاوطان فلا بدع كونه الاصل للمعارف والتمدن ومنبع العلوم والتفنن ومنشأ القوات والدول ومحل الاوّليات الاول اذ فيه تهذبت الابدان وذاعت الاديان وظهرت الفلاسفة العظام والحكماء الكرام والشعراء المفلقون والراوون الصادقون فهنالك

أوّل ما فلحت الارض وعلم الطول والعرض وتحددت الافلاك ورصدت
وسلكت البحار وقصدت ودرست الطبيعة ووضعت الشريعة
وانتشرت المتاجر والصناعة وبدت البراعة والبراعة وكشف اللسان
قناعه فن الشرق مبادى المبادى وأيادى الايادى ولكن الدهر غيور
والزمان غدور فلما نظر هذا القضاء فلاح هذه الديار ونجاح هذه الامصار
بسط عليها سحاب الكوارث وأثار عجاج الحوادث فوقع النزاع بين
الملل وانتشبت الحروب بين الدول وشبت نيران القتال وارتفع
لهيب الاهوال فضجت الناس بالفتن وعجت فى الرؤس المحن وما
برحت التقلبات تمد مضاربها والمكائد تعد ملاعبها والزمان ينفث
الانقلاب والخطأ يعبث بالصواب حتى أولج الدهر سنانه فى مقتل
العقل وأوقع الغلط حسامه فى عنق النقل فهجم الظلام من خباياه
وبرز الخراب من زواياه فتاهت الاهالى فى هذه الديار وتساقطت فى
تلك المعاثر واسترجع الاقبال يسره واستطلع الادبار عسره حتى
غرقت العقول فى لجج الجهاله وتمرغت الطباع فى بطائح الرذاله وهكذا
قد انقلبت المدن العظيمة وانمحت الآثار القديمة واضطربت المتون
الراسخه وهوت السرادق الشامخة حتى نعب بوم الدمار ونعق
غراب الدثار ومازال ان سلم الشرق نفسه ورفع الغرب رأسه

يا شرق أبا الهدى ترى أين هداك ❊ قد غاب ضياك وانمحى كل بهاك
قد كنت لكل ذى ظما برد روى ❊ ما بالك عدت شاكيا حر ظماك
بالامس لكل ساقط كنت يدا ❊ واليوم غدوت ساقطا تحت ضناك
بالامس لكل ذى ضنى كنت قوى ❊ واليوم غدوت فاقدا كل قواك
بالامس لكل معشر كنت حمى ❊ ماضاع حماك بل قضا خان حماك
يا شرق ولو عليك مدّت ظلم ❊ لا تطغ فسوف يغمر النور سماك
الغرب اذا زها فعن ضوئك ذا ❊ فالصبر الصبر فغدا رجع ضياك
لا تخشى يا أبا السنا تيه دجى ❊ فالشمس أمامك اختفت وهى وراك

يا شرق عطشت بعد ما قد سقيت * من وردك كل فيئة فوق ثراك
ان كان مياهك الجوارى نضبت * لابدّ لفيضها فبشراك بذاك
فانهض بحمى عبد العزيز السامى * هذا سلطاننا فهذا مولاك

حال الغرب

ما كان العقل ليرضى بانحطاط مراتب أعماله وسقوط دولة أفعاله ولذلك فريثما كان الشرق يلج فى الظلماء كان الغرب يعانق الاضواء ومالبث أن تبوأ الغرب صهوة الضحى وهار نهار الشرق وانمحى ومازالت مناطق النور تمتدّ فى الغرب ان غمرت القارة وأضحت هناك قارة وهكذا فتحت الابصار والبصائر وتنورت الاسرار والسرائر حتى انتشر العلم والجهل انطوى وجلس العقل على عرشه واستوى فتكملت المعارف والمفهومات وتجملت المعقولات والمنقولات وسقطت الاكاذيب والاباطيل وهدمت الخرافات والاضاليل وارتفعت الحقائق وتشيدت الطرائق فلم يعد للفلك أحكام ولا للعين سهام ولا للجن مسارح ولا للارواح مراسح ولا للسحر تأثير ولا للاحلام تفسير ولا للكيمياء اجالة بسيط ولا بين المفقود والموجود وسيط بل فتوح معقول وكشف مجهول وابداع روابط واختراع ضوابط وايراد موارد وارشاد شوارد وتحصيل طرائق وتنصيل طوارق وتمهيد طرقات وصنائع وتشييد متاجر وبضائع فهناك الشمس ثبتت فى مقرها والارض دارت على دائرتها ومحورها والحكمة لبست ثوب الكمال والآداب سحبت مطاريف الجلال والطبيعة فشت أسرار الاجسام والشريعة فصلت بين الحقائق والاوهام والكيمياء حررت عناصرها من حكم الاستقصاآت المتغلبه وأظهرت جواهرها من صدف الآراء المتقلبه حتى وطدت اصولها ومكنت فصولها والطب نشر راياته وأعلامه وكلل بغاير الظفر هامه فافتتح معاقل الامراض وزرض قوارض الاعراض ان يكن بقوة الاصول العنصرية أو بفواعل الحواصل

النباتية واليدويات تحكمت هنالك واستحكمت وخضعت الاثقال وسلمت فطار الانسان على البخار واختصر مطولات البحار وضيق رحبات القفار واستخدم البرق رسول أخباره والنور مصور آثاره وهكذا فقد سطا الانسان الغربي على اجزاء الكائنات وكلياتها واستخدم مجموعاتها ومفرداتها حتى تمم نقصان الشرقي ورقي عليه بالضرب والترقي فلا حياة الا هنالك ولا ريب في ذلك فهنالك الراحة والمراح والطرب والافراح والأمن والامان والحسن والاحسان والثروة والغنى والخصب والجنى والمراسح واللهو والمشاهد والزهو والرقص واللعب والاغاني والادب فلا يضج الملل في القلوب ولا يعج الضجر والكروب وكل روح ترتاح الى علاقتها ولا تحمل نفس فوق طاقتها حتى اذا كان امرؤ نضو تعب وحليف وصب غارقا في الاكدار وخابطا في الاقدار فهو يرى ما يعزيه ولا يرى ما يؤذيه وبينما كنت ذات ليلة في باريس خائضا في كآبتي تائها بين خطائي وصوابي وأنا حبيس في حجرتي لا أنيس لي غير وحدتي ملك أنس تلك الوحدة ورخاء هذه الشدة وأنفت مسامرة ذاك النديم الصامت أو الصديق الشامت فهربت الى الشارع لا أعلم أين أنطلق هرب الطير من القفص المنغلق سكران بخمرة التأملات معشما تحت مطارق المشكلات ومازلت ان أوقفني باب كبير محفوف بحرس التنوير فلبثت قليلا ثم دخلت دخيلا واذا المحل مرسح رواقص وملعب عواقص ومازلت هنالك الى ان احترقت ناحية الدجى والليل الى الغرب التجى فخرجت اذ ذاك وها شرح ما رأيت هنالك

ليلة رقص

كفى على هذا الورق ✻ أسكب أنوار الحدق
✻ العلم بحر زاخر ✻ وفيه قد طاب الغرق
لكنما للعقل أو ✻ قات ووقت للحمق
كذاك للنهار أشـ ـغال وشغل للغسق

هـا ملكُ الليـل بدا ❊ يجـلى على عرش الفلق
والغـرب قد حاكَ له ❊ فى الافق برفير الشفق
والشمس حلت فى الحبا ❊ والنجم فى الاوج انطلق
وسكن الكل سوى ❊ نفس أبت الا القلق
نادى الهـــنا هيا فيا ❊ نفس اركضى فلا زلق
قومى الى نهب الصفا ❊ هـاعـــلم الحظ خفق
باريس لما أصبحت ❊ سماحوت كل الفرق
وسبيت جهـــنم ❊ وبا بها قـــد انغلق
فلنغتنم هذى السما ❊ قبل زوال المتفق
حتا م أخلو جامعا ❊ فى الذهن أفكارا عتق
من فاز بالزنبـــق لا ❊ يصبو كثيرا للحبق
ومن أصاب اللحم لا ❊ يقول ليت لى المرق
ومن كسى بخلعـة ❊ هل يفكرن بالخلق
سعيا الى اللـذات ما ❊ دمت على بعض رمق
واركب على خيل الصبا ❊ واسبق فاجر فى السبق
لكل سن مسـلكٌ ❊ له نظام ونسق ❊
فالمـرء فى الدنيا سدى ❊ يحالكَ والعمر شقق ❊
وكل قلب بالمنى ❊ يبـنى الى يوم الغلق
ما القلب الا شجـر ❊ وما المنى الا الورق
ومنيتى مـدينـة ❊ فيها لى السعد برق
أجـول فيها وعـلى ❊ فـى مجال للملق
أقطـف من لذاتها ❊ ما عـدّ لى وما اتفق
وفى لظى شبيبتى ❊ كل أسى قد احترق
لأرعوى ولو عوى ❊ كل عـذول اونهق
وليـلة سـوادها ❊ كالمسـكِ بالطيب عبق

أوحى الىّ الوقت أن ❊ أطوفها دون رفق
فرحت أجرى والدجى ❊ يزيد فوقى من حنق
مهرولا كأننى ❊ أسعى لدين مستحق
مازلت حتى صرت فى ❊ مغنى على المغنى انطبق
كأنه بحر به ❊ تموج ربات الحلق
خضت فيه وأنا ❊ أشق امواج الخرق
اذا بصوت قال لى ❊ مهلا أما تخشى الغرق
كم انت يا هذا قبا ❊ قلت كذا كل قبق
فصار يهجو أبهتى ❊ وطول ثوبى ذى اللبق
بكل لفظ شارد ❊ وكل معنى لم يطق
فلم أزل مطوّلا ❊ عليه بالى ان مزق
وليت منى الابتدا ❊ فالضرب للذى سبق
قلت له ما تستحى ❊ يا قفصا تحت طبق
أو قصبة فى سلة ❊ أو خنصرا فى مختنق
قال وهل نحن الذى ❊ بالازر شوّهنا الخلق
رح يا فتى من فيئة ❊ نساؤها مثل الحقق
ومن زوايا سقر ❊ جمالهنّ مسترق
فالشعر حيات سعت ❊ والخد نيران الحرق
والصدغ يدعى عقربا ❊ والخال دودا أو علق
والوجه يدعى عندكم ❊ بدرا أتهوون الهيف
ولم نزل فى جدل ❊ وبيننا يجرى العرق
حتى انتهينا آخرا ❊ للوفق والوفق أحق
والجمع قد قال لنا ❊ كل بما قال صدق
ورب خير جاء من ❊ ضد مع الضد اتفق
واذ جلسنا والقلا ❊ هار بزلزال القلق

اذا غـزال جانـبى * يغزو فؤادى بالحـدق
كأنه مكوّن * من جوهر لامن علق
يفـتر عن ظرافـة * منهـاسنى الحسن انبثق
وينثنى عن قامـــة * غصن الهوى منهـا بشق
من لى بهـا رشاقـة * شاقت ومكحولا رشـق
يطرق فى الارض ومن * مبسمـه الشوق اندفق
فناظر يرعى الحـيا * ومبسم يرعى الشبق
ولم يزل طيرالهـوى * يصدح فى دوح الارق
ونحـن فى تمـازج * والجنب بالجنب التصق
حـتى تنحى للنوى * فقلت لاومن خلق
فقال هاالصـبح بدا * قلت ولو كان انفلق
ولم نقم حتى اختفى * دخان مركب الغسق
ولاح سلطان النهـا * رلا بسا تاج الأألق
والشهب من شراره * قدذبن والليل احترق
هنا افـترقنا وأنا * أمشى وعينى بالطبق

فهاخيم التمام على الغرب وعم فتأمل زوالا اذا قيل تم أوماترى النزاع بدا يسعى بين ملله والحسد بين دوله فكل وقف على قدم الطراد وفغرفم الفساد مكدودا بمراده ومعمودا بعناده وهذا دليل الدمار وطليعة الدثار ولابدع فالشرق أخذ بطلب ماله ليسترجع ماله وماالزيادة الا الفائدة المكرره صلاحة فى الدين مقرره وهاقد استرجع الشرق متاعه ورفع سنجقه وشراعه وذلك على عهد عظمة سلطاننا عبد العزيز ذى الشوكة والسطوة والادارة والدراية والتميز مبدع هذا العصر الزاهر وجامع نفائس الاوائل والاواخر وقدقلت تاريخا لجلوس عظمته على عرش السلطنة السنية

* تاريخ الجلوس الهمايونى *

بشرى لكم بالفوز يا كل البشر * فالدهر عن وجه المكارم قد سفر
والتنعموا من نفوسكم فاليوم قد * لاحت شموس العز من فلك القدر
أهدى العزيز لنا الخليفة عبده * من كان فى عثمان كنز امدخر
فاهتزت الدنيا به فرحا وقد * طوى الاسى والسعد كالسحب انتشر
وبدت بجود الملك بارقة الهنا * وهمى على الآفاق من نعم مطر
وافترثغر الدهر عن شنب الصفا * فصفت لنا الايام واندثر الكدر
ملك على عرش الخلافة مذ علا * ظهر النعيم وحاز عزا من صغر
كل الملوك كواكب لكنما * عبد العزيز لكلهم شمس اظهر
قد زين التخت العلى بمجده * ابدا كما قد زين الطرف الحور
بالعدل كسرى والتسلط قيصر * وذ كاسليمان به وقوى عمر
نامت عيون الناس تحت ظلاله * امنا وبات لحفظه يرعى السهر
فيه غداغصن التمنى معطيا * ثمر النجاح وكلنا نجنى الثمر
أخلى قلوب الشعب من خوف الردى * واحل فيها الرعب منه والحذر
لكم الهنا ياخاضعون لحكمه * فلقد ظفرتم بالرجاء المنتظر
قد سد طرق النائبات بحزمه * عن ساحة الملك الذى فيه ازدهر
واذا تولى الملك ملك حازم * لايترك ن به سبيلا للضرر
كتب القضاء على صفاح سيوفه * لاعيش للعاصى اذا السيف اشتهر
قد ألبست كل البلاد يمينه * حلل الامان وقد نضت عنها الخطر
فأعاد ماهدم الزمان مشيدا * بعزيمة تحكى الزمان اذا اقتدر
وبنى من النعماء حصنا للورى * هذى هى الجدوى فقل نعم الاثر
فلتسعد الدنيا به ولتبتهج * كل الملا ولتفرح الدول الأخر
كن يا أمير المؤمنين مسربلا * بالفوز ماغنى الهزار على الشجر
ما أنت الا الشمس فى اوج العلا * واليك كالحرباء كل قد نظر
ان المهيمن مذ دعاك خليفة * فى الارض كى ترعى الانام بما أمر

نادى لديك العرش عش ياذا القوى * والدهر قال مؤرخا سد بالظفر
سنة ١٢٧٧

* حال الزمان *

هذا هو الرب القادر والاسد الكاسر والحسام الباتر هذا هو الخصم والحكم والحرب والسلم والسيف والقلم هذا هو الداء والدواء والنعم والشقاء والراحة والعياء هذا هو العدو والصاحب والمطلوب والطالب والمنهوب والناهب هذا هو الحق والزور والخير والشرور والحزن والسرور هذا هو الميزان والاوزان والرجحان والنقصان والطاعة والعصيان هذا هو الظهور والخفا والخيانة والوفا والكدر والصفا هذا هو الوجوم والابتسام والثواب والانتقام والحلال والحرام هذا هو الباب والطريق والوحدة والرفيق والفرج والضيق هذا هو الزمان الغلاب والشيخ المهاب كاسر الاكاسره قاصر القياصره رافع الوضيع خافض الرفيع مفقر الاغنياء مغنى الفقراء كاشف الاسرار هاتك الاستار ترجمان النوايا قهرمان العنايا دهقان الخبايا محتد البلايا اذا فرح أحزن وان قوى أوهن ومتى مخ أمحن فلا يصيب الاليكف ولا ينتقم الا ليعف ولا يواسي الا ليؤسي ولا يذكر الا لينسي ولا يوجع الا ليريح ولا يسدل الا ليزيح ولا يأخذ الا ليعطي ولا يعلي الا ليوطي ولا يحصد الا ليزرع ولا يمنع الا ليمنع ولا يعدل الا ليظلم ولا يبني الا ليهدم ولا يرشد الا ليضل ولا يلهي الا ليمل ففيه اللهو والملل والخيبة والامل والرى والظماء والشدة والرخاء والثبوت والتقلب والقهقهرة والتغلب أيان طال صال وأينما طلب نال وحيثما رمى أصاب وكلما أكد أراب فتركه طلب وهدوه شغب وصلاحه فساد ونومه سهاد ويقظته رقاد وحلمه جور ونجده غور وسلمه دور وسلمه قتال ووداومه محال ومن شأنه انه كلما أعطى أطمع وكلما طيب أفجع وعماده هاني به في غاليه

مادعانى لهذه الاقوال القاليه

﴿سطوة الزمان﴾

جئت ارض الغيث كى أطفى الصدا ✻ فطفت عزمى وزادت عطشى
وأطاشتنى فصحت المددا ✻ يالراس عمره لم يطش

﴿دور﴾

لم أجد والله فى هذى البلاد ✻ غير داء لى وللغير دوا
ذقت فيها كل كاسات النكاد ✻ وكذا غيرى من البشر ارتوى
وبها الدهر كسانى بالحداد ✻ وكسى الكل باثواب الغوى
يافؤادى قد جرى فيك الردى ✻ فعلى هذا الردى مت اوعش
واصطبر أوفاختبط كل سدى ✻ قضى الامر فلا تلتطش

﴿دور﴾

لست لا والله أدرى جحتى ✻ لالدى الله ولا عند البشر
غير أنى سالك فى دعوتى ✻ ولكل مسلك فيه اشتهر
فرمى الدهر اغتيالا همنى ✻ بنبال الغدر ياقوم الحذر
ذلك الدهر لنا شر العدى ✻ سارق لكنه لايختشى
يرعش الدنيا اذا ألقى يدا ✻ وهو شيخ النحس لم يرتعش

﴿دور﴾

يالومى فى صباحى والمسا ✻ أسدا لخطب لقلبى تفرس
قد أعادتنى أصما أخرسا ✻ فى ربوع فاه فيها الأخرس
ما احتيال المرء فى حكم الاسى ✻ مشكل تحتار منه الانفس
قيل صبرا قلت والصبر غدا ✻ صاحب الدهر ومنه مرتشى
وكذا العقل الذى منه الهدى ✻ صار كالطفل كثير الطيش

﴿دور﴾

ان من كان الشقا قسمته ✻ لايرى الا الشقا أين سرى
لايرى فى الارض الا مقته ✻ كيفما جد عليها وجرى

وأخو السعد يرى نعمته * أينما سار وأنى خطرا
رب ذى عجز له فاض الندى * وأخى عزم قضى فى عطش
ما ترى المرء يعيش الرغدا * ويصاد النمر ضمن الحرش

دور

قد قطعت الآن آمال الشفا * بعد ما جربت كل الادويه
هدم البيت وأقوى وعفا * هكذا غاية كل الابنيه
فطبيب اليأس حسبى وكفى * ان فى اليأس لكل تعزيه
لا يغرن الفتى يوم بدا * أبيضا فى زمن كالحبشى
فأمام الدهر كل وجدا * مثل عصفور أمام الحنش

دور

كلنا نحن بنى هذا الوجود * نشرب السم بكاسات الذهب
تظهر الدنيا لنا ماء الورود * فندانيها فتسقينا النكب
تركها أولى فلا كان الوفود * نحو خوان اذا أعطى نهب
ليس من أمن لحى أبدا * من زمان جائع مستوحش
فاحذروا يا ناس هذا الاسدا * أى ناب فى الطوى لم ينهش

دور

تفرح الآباء فى حظوى البنين * فرح الصاحى بأقبال المدام
ما صراخ الطفل فى أول حين * غير قول جئت فاذهب بسلام
لو درى ما النور فى الدنيا الجنين * فضل الاجهاض واستحلى الظلام
حرم القتل فثل أوفدا * والورى عن ذا القضا فى طرش
كلما للدهر أعطوا ولدا * ساقه للذبح مثل الكبش

دور

يا أبى نم آمنا فى ذا التراب * فعلى ذى الارض جاءت نوبتى
قد خلصت الآن من هذا العذاب * بعد ما أثبت فيه وقعتى
دمعك المهراق ما غاص وغاب * عنك لولا دوره فى مقلتى

فأهنيك بموت أنجدا * آه لو ترثى لعيشى المنتشى
طب فما عدت تقاسى نكدا * قد أتى دورى فيا موت ابطش

دور

وهكذا يا أم أوجاع المخاض * كن رمزا عن مصابى المقبل
أنت قد أرضعتنى ذاك البياض * لدخولى فى سواد الأجل
خطت لى أقطة قبل المباض * لم تكن غير قيودى الأول
منذ ما ألبستنى هذا الردا * حاك لى الدهر لباس الفحشن
وأعد السهد لى والكمدا * منذ تبسمك لى فى المفرش

دور

كم بكت عينك دمعا كالدما * كلما تنظر عينى فى أرق
آه لو تنظرنى الآن وما * فى فؤادى من لهيب وحرق
فاستريحى الآن بالموت فما * أتعب العيش على ذاك القلق
واتركينى يا كياطول المدا * خابطا وحدى رفيق الرعشن
ضائعا فى غربتى مبتعدا * صارخا يا سعد من لم يعش

دور

فأنا أبكيكما يا والدى * بدموع ما بكاها أحد
ان فى موتكما القاسى لدى * مات حقا سندى والعضد
أى شئ عوض لى أى شئ * وجميع الارض لى تضطهد
ولذا صرت فتى منفردا * أنظر الدنيا نظير البرغش
أرتجى فى خلواتى الصمدا * فسواه ليس لى من منعش

وأيضا قلت فى جور الزمان

حتام هذا الزمان يفتك بى * حتام يجرى على بالنكب
ويلاه لم يرو من دماى فلو * مستسقيا كان لارتوى وأبى
فما احتيالى وأين أهرب من * دهر اليه المصير بالهرب
دهر لذى الامتلاء كل سخا * وكل محل لكل ذى سغب

كعارض غرق السباخ ولم * يسق الاراضى التى على لغب
والدهر أعمى العيون وهو على * سبل الورى قائد فواعجبى
بئس الليالى التى أثرن على * قلبى خطوب الحروب والنوب
كسفن شمسى على الضحى وكذا * خسفن بدرى وليس فى الذنب
لله كم بت والشؤون على * خدّى ينسجن حلة الكرب
والليل يلقى رماد ظلمته * فى الشرق فوق الصباح ذى اللهب
ماالليالى غدرن بى أترى * زعمنى ثائرا على الخطب
ومالدهرى أتى يطاردنى * هل ظن أنى مطارد الحقب
فلينعم الآن كل ذى نعم * فالدهر لا، علىّ بالغضب
وهكذا ذى الحياة جارية * ذا فى اضطراب وذاك فى طرب
ياأيها الدهر لا بلغت منى * الام أيدى سبالك تلعب بى
أقمت بى دار ندوة جمعت * كل البلا خبت يا أبا لهب
فأنت خصم لكل ذى طمع * وأنت ضدّ لكل ذى طلب
وأنت للهدم والدثار أب * وأنت أم لكل منقلب
وأنت شيخ وأنت ذو حكم * وأنت تسعى لجاهل وصبى
فكم مدار يصيح ضدك يا * جان وكم مركز وكم قطب
وكم بلاد وكم قرى وورى * حتى وكم أنجم وكم شهب
فلا معين لنا عليك سوى * سوم الرضا فى المنا وفى الوصب
ان الرضا تارة يجرّ منى * والصبر طورا يجىء بالارب
صبرت حتى العياء غار على * صبرى ولولا العنا لكان سبى
وأنفس الصابرين قد خلقت * مقاومات لأثقل النكب
وكل بلوى جهل دهرى بى * دهر به ضاع أجر ذى الأدب
والجهل ليل اذا فشا سرقت * فيه أجور النهى بلا تعب

* وقلت أيضا استغاثة بالله *

عظمت علىّ نوائب الدنياء * والدهر قابلنى بكل بلاء

وغدوت فوق الارض ريشة طائر * سقطت أمام عواصف الاهواء
أيان سرت رأيت كل مصيبة * عظمى تهدّدنى بقطع رجائى
فأودّ أن أهوى الزمان عسى أرى * تعذيبه عذبا على أحشائى
فكأن قلبى صار عضو اللشقا * والحزن لا لعيالة الاعضاء
قلب أبى دفع الدما الالى * عيـنى لتطفأ نار مبكائى
أبكى أضج أنوح اذ لاسامع * غير الدجى والريح والانواء
فدعوت من لم يدع دون اجابة * فرثى لحالى واستجاب دعائى
ان كنت صنع يديك يا ربى فلا * أدعو سواك ففى يديك شفائى
أنت العليم بما ضنيت به فلا * أشكو لغيرك يا رحيم ضنائى
يارب قد دارت علىّ دوائر * سود وعدت فريسة النكباء
يارب قد قهر الزمان عزائمى * فاقهر زمان القهر يا مولائى
زمن قد استسقى بكل مكيدة * وغدا على ولع بشرب دمائى
صرعتنى المحن الشداد فذلنى * يدك الشديدة يا أبا الضعفاء
محن تعاظم فتكها وصراعها * فافتك بها يا أعظم العظماء
يا منقذا أيوب من بلوائه * بالصبر فانقذنى من البلواء
أذناك سامعتان أصواتى كذا * عيناك ناظرتان حال عنائى
ان كان سخطك صار داء لى فلا * ريب سألقى من رضاك دوائى
أنت العليم بلى بضعف طبيعتى * وأنا العليم نعم بعظم خطائى
أغصان حلمك دانيات قطوفها * وجنان عفوك فائح الارجاء
عبد الى مولاه مدّ يد الرجا * حاشا يردّ بقسوة و جفاء
عبد رأى فى قلبه رباله * رؤياه شمس الكون فى العلياء
فانحاز يقرع صدره طلب الندا * قرع الفقير لباب رب غناء
انى علمت وجود بارى الخلق من * ايحاء نفسى لا من الايحاء
ان كنت موجودا فرب موجدى * هيهات مبروء بلا ابراء
ها كافة الاشياء تدعو كل ذى * عقل ليعبد مبدع الاشياء

من ذا الذى سوى السماء وصاغها * وكسا الكواكب حلة الاضواء
من ذا الذى دهق الفضا بعوالم * جلت عن التعداد والاحصاء
بعوالم صيغت بأحسن صيغة * وجرت بكل شريعة غراء
من ذا الذى جعل الجماد مجهزا * قوت الحياة وقوة الاحياء
من ذا الذى أعطى النبات طبيعة * منها الى الحيوان كل عطاء
من ذا الذى قد صير الحيوان أن * يدرى المحيط به بلا استثناء
متحركا بارادة متمتعا * بوجوده متطاوع الاجزاء
من ذا الذى من ذلك الحيوان قد * سوى كيانا فاق كل سواء
أعنى به الانسان سيد جنسه * رأس الخليقة مالك الحوباء
من ذا الذى أعطاه كل خليقة * وحباه أعظم قدرة وسطاء
أعطاه أن يسطو على كل وأن * يستخدم الاشياء بالاشياء
أعطاه فهما أدرك الاشيا به * وأبان ذا عن ذاك بالاسماء
أعطاه ذكرا يستطير به على * جنح الضمير الى أشم سماء
ذكرا بقوته يرى فى قلبه * صور الحوادث فى الزمان النائى
فمن الذى قد صاغ هذا كله * من حيث ليس سوى سكون فضاء
ذا خالق متعجب فى ذاته * ويرى الجميع وماله من رائى
رب كبير قادر متسلط * منه الحياة ومنه كل سخاء
فبه استغثت على جميع مصايبى * وعليه قد ألقيت كل رجائى
وكذاك أرجوه يمن على أن * أطفى بماء دقوبق حر ظمائى
وأعاف نهر السين فهو لذى الظما * ملح أجاج معطش الاحشاء
حيث الغريب يرى الجنان بعينه * وفؤاده يصلى بنار لظاء
لا ناقة أبدا له كلا ولا * جمل ولا حصباء فى بطحاء
فمتى أرى الأظعان تعدو بى على * سمعان حيث مطالع الشهباء
وأرى رؤس السرو تدعونى الى * أن أستطيب نسائم الزوراء
كل يميل الى مساقط رأسه * ميل الرضيع الى لقا الاثداء

فانا الى حلب أميل صبابة * أبداوان أك فى سما الدنياء
بلد لرأسى مسقط وبها أرى * أهلى وأصحابى وآل ولائى
للوحش أوكار وللطير أشـ * ـجار وللا سماك لج الماء
لا يزأرن الليث فى دوح ولا * يترنم القمرى فى البيداء
والجرف للظبى الغرير أحب من * قفص من البلورذى اللألاء
كل لنغمة أرضه يصبو ولا * يلوى سوى ذى قطرة صماء
فتى أرى جبل الكلام يمدلى * باعا يطول على جبال التائى
حيث الطبيعة بالطبيعة زينت * حتى اغتنت عن صنعة وعناء
حيث السماوفت الفصول فما أتت * بشتاء صيف أوبصيف شتاء
حيث المناخ كسا الثرى بل والورى * ثوب النعيم فكان خير كساء
انّ المليحة من تجل بحسنها * عن صقل عرقوب ورثم رداء
وبكل أرض آفة تجرى على * قدر المؤوف وقدرة الاجراء
فالعمر سوق والخطوب بضائع * والدهر فيه يبيع دون شراء
ان العذوبة فى الحياة عذابها * كوعود معشوق بدون وفاء
فتبسم المفقود رمز خلاصه * وتوسم المولود رمز بلاء
والدهر أعمى وهو الول الورى * وأصم وهو يرنّ بالأرزاء

وقلت ندبا لفعل الحوادث

هل عاد عندك يازمان بعادى * خطب تعاندنى به وتعادى
لاعدت أجزع منك اذقد أفرغت * كل الكنانة فى صميم فؤادى
لم يبق عندك ماتروّعنى به * غير المنية وهى جل مرادى
أشكوك يادهرى وانى عالم * شكواى تذهب صرخة فى وادى
وكذا أناديك الدوام وانى * أدرى بأنك لاتجيب منادى
لى معك يوم العرض وقفة مشتك * ياظالما وعديم كل رشاد
يادهر لم كسرت كل ظبائك فى * عنقى لحاك الله من جلاد
أترى أناوحدى عدوك فى الملا * يامن له كل الانام أعادى

أعدمتنى كل الهنا وتركتنى * متغربا عن معشرى وبلادى
وحكمت أن أقضى الحياة شقاوأن * أرعى الاسى كمد اليوم معادى
ومنعت عنى المنجدين فلو بدوا * لى فى المنام لرمت منع رقادى
سحقا لعمر كل يوم منه لى * موت وقائعه بلا تعداد
ما أجفنى فيه سوى سحب وما * نفسى سوى لهب وقدح زناد
يبدو الصباح لكل عين أبيضا * ولأعينى متوشحا بسواد
والشمس عند شروقها تلقى على * كل الطبيعة حلة الاسعاد
لكن أبت تلقى على سوى اللظى * وأبى يراها الطرف غير رماد
واحسرتى نفخ الزمان بلمتى * شيبا تداخل فى شباب بادى
وأمر فى زمن الصبا زهر الربى * للكل لكن لى كشوك قتاد
قد كنت خلو البال لا أهوى سوى * قبضى لاقلامى وبسط مدادى
وقطوف أغصان الشباب دوانيا * وتنقلى من زينب لسعاد
فغدوت أروغ من ثعالة فى العنا * وأضل من مهر بغير قياد
لم أدر قط من الشقا الاسمه * حتى تصرف فعله بفؤادى
قد كان يحسدنى على دهرى الورى * والآن صرت أنا من الحساد
وأشد ما قاسيت من ألم البلا * ضجر يرافقنى بكل عناد
فكأنه ملك يروم وقايتى * لكن من الاصلاح لا الافساد
أيان سرت أراه نصب لواحظى * أبدا وأين ظعنت فهو الحادى
وهو الكرى وخياله فى أعينى * ولربما هو مضجعى ووسادى
من لى به بطلا يطاردنى بلا * حلم وما أنا من رجال طراد
فرد فبيع لم يخر قفصا سوى * قلبى ولم أك قط بالقراد
بعدا لدنغلا شنيعا أمه * بنت الشقا وأبوه ابن جهاد
أوذا حظى منك يا بارباس يا * دارا لهناء ودارة الاعياد
وعلام أسند أن أقل هنا لى هنا * والحكم مردود بلا اسناد
ما هذه الدنيا وما هذا الملا * ما القصد فى الاعدام والايجاد

ماذا الحياة وما الممات وما الوجو * دوما النفوس تضج فى الاجساد
انى رأيت الكل شيأ واحدا * يجرى كصوت واحد الترداد
مع ان ذا ضد لذا والكون ان * يثبت فذا بتنازع الاضداد
فعلمت ان عناية علوية * للكل مثل الام للاولاد
واذا وفاق قام فى أجناسه * فالخلق فى الانواع والافراد
لكن مللت دوام صوت واحد * ملل السماع مطارق الحداد
ورأيت أن الارض تيه مظلم * وبه الورى تسعى بلا ارشاد
ياصاحب الدنيا حذار حذاران * عادتك يوما فهى شر معادى
أنثى فلا يرجى ثبات عندها * تبغى الوداد ولم تقم بوداد

﴿حال العلم﴾

ولما كان العقل مطبوعا على الاكتساب وحاويا ملكة التمييز بين الخطا والصواب أوعزت اليه دواعى الحركات الذهنية وبواعث الحياة البدنية واللوازم الدينية أن يرتب تصوراته ويهذبها ويجمل دلائلها النطقية ويؤيدها وأن يبحث فى الموجودات ويستقصيها فيدنيها اليه أو يقصيها حتى يستخدم ماطاب له وسر ويطرد ماخبث وضر فيستعين بالحوامد على حمياته وبالماديات على روحياته وأن يعرف الخالق من المخلوق والصانع من المصنوع والموجد من الموجود كمعرفة الوالد من المولود وهكذا فقد نشأ العلم وقام الفهم فالعلم ريحانة النفوس وروح قدوس به تنشر الافكار وتبصر الابصار وتكشف الاسرار وتجلى السرائر وتبرز الضمائر وتسمو العنايا وتصفو النوايا وبحسنه تحسن الصفات وبكماله تكمل الذوات وهو الكنز الذى لايفنى والجمال الذى لايشنى قوة الكبير سند الصغير ذخر الفقير فمن حازه حاز الجلال ولو كان حقيرا والكبر ولو كان صغيرا والثروة ولو كان فقيرا والعتق ولو كان أسيرا والسطوة ولو كان ضعيفا واللطف ولو كان كثيفا والعز ولو كان ذليلا والصحة ولو كان

عليلا والقبول ولو كان رذيلا والدخول ولو كان دخيلا فبه ارتقى
الانسان ونجح وتجمل وفلح وأصبح أعظم الكائنات وأجود
الموجودات والخيرات اتسعت والاضرار امتنعت والنفوس
غلت والحياة حلت والممالك تشيدت والمدائن تسيدت والصنائع
عمت والفلاحة تمت والمتاجر انتشرت والاخطار اندثرت والطبيعة
خضعت ودنت والعاصيات طاعت وعنت والآفات غلبت
والنوائب سلبت والمعاملات شاعت والمعامل زاغت والسياسة
صلحت وتهملت والاحكام عدلت وتكملت ولم يعد للظلم مدار ولا للجور
جوار فالعلم الاجمال الانسان وكمال الاذهان أما العلم فهو لذة
ثابتة للعالم وتعزية له في ألأم العوالم وبيناذلك فلا يخلو من النكد
والنغث في العقد على أن العالم لا يبرح متبلبل البال قلق الحال
لا يسكت لبه ولا يسكن قلبه ولا تهجع أفكاره ولا تصمت أذكاره
فنومه أرق وسكينته قلق وراحته تعب ووصب وجهاد ونصب
وسروره غموم وضحكه وجوم فيرى الدنيا مطارح تعاذيب ومسارح
أكاذيب فاذا اعتبرته لا يعتبرها واذا عرفته ينكرها لانه لا يحفل
بكل الاشياء ولا يعبأ بحركات الاحياء فالمراتب عنده مكاسب
والمناصب مغاصب والاموال أثقال والاحسان قيل وقال

﴿وهاك مقالي الى طالب علم﴾

عرفت أصلك مما فيك من ثمر * يا غصن فضل بدا من أطيب الشجر
تجني أجل ثمار منك ناضجة * وأنت في الدوح تجني جودة القدر
فكن الى كبد العلياء متصلا * يا أيها الغصن وانظر آمن الخطر
لمثل شخصك حق المدح من رجل * يرى النقا والتقى خيرا من الدرر
فالمرء يذكر بالآلاء جانبه * لا باللآلي ويدرى التاج بالشعر
أتيت تسترجع العلم الذي شردت * به المقادير من مصر فخذ وسر
تسلسل العلم من مصر الى عجم * للروم للعرب للافرنج فليدر

وان تعكر بالآراء لاضرر * فرب نفع أتى من موقع الضرر
فالنيل وهو عكير الوجه يطفح فى * مصر ويودع فيها أروق الأثر
فاستقبل العلم مفتوح البصيرة كى * يمر فيها مرور الطلع فى الزهر
فالعلم فى رأس من ضاعت بصيرته * مثل السراج بايدى ضائع البصر
هنا قد افتتحوا دنيا العلوم بلا * شؤم نظير افتتاح الشام من عمر
فاغنم فلاح افتتاح عزم مطلبه * وكن عليه على نصر على ظفر
عهدى بمثلك يقضى الليل معتنقا * عطف الكتاب ولم يسأم من السهر
وأنت غض الصبا كالغصن واعجبا * لا تنحنى تحت أثقال من الشمر
هذا سلوك عجيب ماله مثل * كما بدا لى من أمثالك الكثر
فكن اذا مستريح البال سوف ترى * عليك يهمى جزاء الجد كالمطر
ولا معاب لاقيال الديار سوى * صول وطول وكف هامل همر
يشكون فى مصر دهر النائبات ولا * أرى بمصر سوى الخيرات والبدر
كل على الدهر بالشكوى يضج ولا * دهر سوى بشر ضجت على بشر
وكم من الناس يشكو الانكسار على * خبث وكم كاسر فى زى منكسر
ياصاحبى ياصديقى يا أمين على * عهد الولا وارد النعمى بلا صدر
كن شامل الأمن من ارصاد ذى نكد * ولا تخف قط سحر الحاسد الخطر
فمن صباح الغنا يا أنت فى سحر * وليس يثبت فعل السحر فى السحر
وان ظهرت لدى الحساد ذا قدم * بلا قدوم فذا من آفة النظر
وتحسب الارض والاجبال جامدة * بينا تمر مرور السحب والغدر
ها أنت فى رتبة عليا وفى شرف * سام وفى سيرة من أحسن السير
رمت التصاغر لما قد علوت فسم * أوجا فهذا اتضاع موجب الكبر
فالبدر يصغر ما يعلو ويكبر ما * يدنو وفى الحالتين الاوج للقمر
علمت حقك فاستحسنت مدحك ما * بين الورى فاغتنم وصل ابنة الفكر
ولا تقل بئس شعر جاء من رجل * فى دينه أقبل الرحمن فى صور
بلى أنا من بنى عيسى وما منعت * هذى الكناية كونى ناظم الدرر

قل لى متى غير الدين الطبيعة أو * حبا اعتبارا لشئ غير معتبر
هذا والاخير الدين يؤخذ من * خير الانام وحكم العين بالاثر

* حال الجهل *

أما الجهل فهو عدم العلم وآفته وقاعدة التوحش ودعامته وعلامته ورايته وما الانسان انسان الا بالعلم ووحش ضار بالجهل الملم فالجهل عثرة السائر ووعكة الحائر وعماء الناظر وتيه الضائع وخرس الناطق وصمم السامع وأينما حل وحلت الملائح ونزلت القبائح وسقط الغار ونهض العار وسكتت صوادح الفطن والفكر ونطقت جوارح العمى والحصر ونكس رأس المعلوم والمقبول وشمخ أنف المجهول والمرذول ووقع الاجدع وتسلح الاكتع وسبق ذو القزل وأصاب ذو الشغل واغتنى اللئيم وافتقر الكريم وهار الهدى والصواب ونتأ الخطأ والمعاب وتتوج رأس الاسير وتقيدت رجل الامير

اذا حكم الخطا قتل الصواب * فلا شرع هناك ولا كتاب
وأعلم ذا الملا يعنو ويدنو * وأجهلهم يسود ويستهاب
فلا عجب اذا ما السحب هارت * ولا بدع اذا شيد الضباب
وللحصباء فى البطحاء درى * وفى العلياء للشهب التهاب
ولكن الحصا للوطئ عدت * وللجليان قد عدة الشهاب
فما للجاهلين سوى افتقار * ولو تبرا لهم عاد التراب
وما لذوى النهى الا ارتواء * ولو أجرى اللظى لهم السحاب
فما نفع الجهول غداة خطب * وأين نراه ان جد الطلاب
اذا حاز الغنى أضحى لئيما * وليس يروقه الا الخراب
يجد وراء كل ردى وشر * وينصب كلما خفضت رقاب
لان الجهل يورث كل طبع * قبيح فالجهول اذا مصاب
وان أعطى السيادة وفق دهر * بغى ولبغيه شاب الغراب
فتنخب يوم منيته المعاصى * وتنبح يوم مولده الكلاب

فحيي آثما ويموت كفرا * وينشر كي بداهيه العقاب
ولكن ذو النهى غوث لكل * وغيث لا تكف له انصباب
اذا خان الزمان هو الموافي * وعند المشكلات هو الصواب
وان فقرا غتنى واذا اغتنى لم * يعد بسوى مكارمه يعاب

أما الجهل فهو مصيبة الجاهل وعطشه في المناهل ومع ذلك فلا يبرح الجاهل صاحب الفرح عدو الترح ساكن البال رائق الحال مرتاح اللب خالي القلب يبسم مدى الدهر ويقهقه في كل أمر ولا يعبأ الا بالحال ولا يفكر الا بالمحال فتراه هائما بالاموال وضاربا في وادي الآمال يتوقع المراتب ولو بعدت عنه ويستعطف المناصب ولو نفرت منه ويستحب الباغض ويستفتح القابض وربما تقلد السيف وهو الجبان وطلب الكرامة وهو المهان وقد جرى ما جرى فقلت لمن درى وفي كل ميدان مجال ولكل مقام مقال

أسير ينادي العتق يا دهر لبه * حبوه حلى التشريف لكن لسبه
أرى الظبي لا يشتاق الا كناسه * وذا الجنح لا يلتذ الا بقضبه
ففي قفص البلور للطير سجنه * وللظبي في صرح العلا كل كربه
وهيك وثاق الاسر صيغ من الندى * فهل لاسير غل فيه روى به
فما لامرء عيش سوى بين قومه * ولا محسن للمرء غير محبه
أيخدعني خصمي بحلو كلامه * اذا كان مر البغض يجري بقلبه
وما هو الا الغبن أن يقبل الفتى * سلام الذي لا يرتضي غير حربه
ومن صغر في النفس بسط امرء يدا * لمنحة من لم يسع الا بسلبه
وكم سارق أغرى صغيرا بفلسه * ليغتال دينارا رآه بعبه
اذا كان لي يوما لسان أقل ولا * أخاف وما خوف الفتى غير شجبه
ولا ريب ان الموت خير لعاقل * يعيش أسيرا للعدو وصحبه
اذا كنت ذا عضب فكن رب ساعد * والا فخل المشرفي لربه
ومن لم يكن للسيف اهلا فلم يكن * على جنبه ذا السيف الا لضربه

﴿حال التمدن﴾

كل حال تدور على هذه الحال فهي قطب كل الاحوال ولا باسط لحقائق التمدن الجليل أبلغ من تلاوة الانجيل فهناك التمدن وقراره ومحوره ومداره هناك يقوم تأديب الطبيعه وتهذيب الشريعه واصلاح السيره وفلاح السريره وتبادل الحب والولا وتراضي البغض والقلا ومحبة القريب واجارة الغريب وصلة الفقير ومواصلة الصغير وعيادة المريض ومواساة المعيض وزيارة الاسير وجبر الكسير وتعزية الحزين والرفق بالمسكين واحتقار المال واعتبار الاعمال والتزام الخالق واطراح الخلائق وطلب الصالحات وترك الطالحات فهذا اختصار التمدن المطوّل وما عليه المعوّل فلا تمدّن بين أولئك الذين يتعرون من هذه الصفات ويتقرون من تلك الكمالات فلا يقوم التمدن لدى من اغتنى عن فعله بالاسم واقتصر عن خده بالرسم ولا تمدن بين أولئك الذين يخيطون الثياب ويمزقون الثواب ويحسنون المسير ويسيئون المصير ويجلون الخطا ويجعلون الخطا ويمسكون العصا ويرتكبون العصا وينصبون الميزان ويكسرون الاوزان ويجمون لسانهم ويرجون انسانهم فيتفاصحون بالعجمات ويتعرفون بالنكرات ويتداولون المجهولات ويتجاهلون المعلومات وينظمون الموضوعات وينثرون المحمولات ويحبون الظواهر ويبغضون الضوامر ويحفلون بالمسمى ويجمعون بالرجمى ويتغايرون بالرذائل ويتغابرون بالفضائل ويجمحون الى الاموال ويجنحون عن الاعمال ويلبسون الخطل ويتحلون بالعطل وأين التمدن من أولئك الذين يتخذون دون ربهم رب المطروق ويلهون عن الخالق بالمخلوق فيحفلون بالابدان ويخافون بالاديان اذ يعبدون الملابس ويكفرون بالمقادس وهم في جهلهم يعمهون وفي طغيانهم يتيهون فكل منهم لا يعلم علما ولا يفهم فهما وهو يشتم الدين وقضاياه ويرفض الناموس ووصاياه

ويلغو بالرعاة وهو الضال ويرغو بالرشد وهو الخال ويتفاصح بلسان معقود ويحاج ويصغي بنطق مفسود وسمع مسدود فهنا السباق الى المهاوى ومضمار المساوى وعناق الرذيله وطلاق الفضيله حيثما تحتبك المعاصى وتشتبك النواصى فاين التمدن من هذه الاطوار بين أولئك الاشرار آل التوحش وأولو التعرش

﴿حال المال﴾

ولما كثرت جموع الملا وآنسوا وحشة الفلا وعلق الخاطر بالخاطر وانضم البادى الى الحاضر هفا الجار الى الجار وذكت النار بالنار واشتغلت هيئة بهيئة واحتاجت فيئة الى فيئة فتبادلت الناس صلات الخدم واشتف كل الى كل والتزم واذكان الانسان يحب خيره ويمقت غيره ويسأم السؤال ويسوم الاستقلال لم يمكنه استخدام الغير مالم يف الخير فجرت الامور بمجرى الاجور وهكذا كان الناس يتقايضون المتاعات ويتبايعون البضاعات فالبهائم بالبهائم والغنائم بالغنائم والمحاصيل بالمحاصيل والمثاقيل بالمثاقيل ومازالوا على هذا السلوك حتى ابتدعوا المسكوك فأبدى الذهب لمعانه وأطال شوكته وسلطانه واهتز كل لسطوته وارتعد وخضع الكل له وسجد على أن الحياة صارت تدور عليه ومجد الانسان يقوم لديه فبقدره يقدر الانسان وبكثره يكثر الاحسان وبوجوده يوجد المفقود وبفقده يفقد الموجود فهذا مايقال له المال وماعليه مدار الاعمال فالمال رب قدير وسلطان نصير تندك لهيبته الجبال وتعنو لديه الملوك والاقيال ويخشاه الزمان ويرهبه الحدثان وتنطفئ منه النوائب وتختفى الشوائب فبه الجاهل يعقل والخفيف يثقل والجبان يشجع والبليد يهرع والفهيه يفصح والمعتوه ينصح والاخرس يسجع والاصم يسمع والعبد يسود والاعمى يقود والحقير يعظم واللئيم يكرم والممقوت يرد والهمل يعد أما بدون المال فالعاقل يحسب

جهولا واللبيب مهبولا والعزيز ذليلا والاصيل دخيلا والنبيه فهيها والفقيه سفيها والصحيح سقيما والكريم لئيما والطيب خبيثا والقديم حديثا والشجاع جبانا والوفي خوانا والمستقيم معوجا والحي مسجى والمحب مبغوضا والصديق مرفوضا وكل ذلك يعلمه الجاهلون ويجهله العاقلون

﴿هذا حال الغني والفقير﴾

جلس الغني على ذلك الديباج العظيم واحقوقف الفقير على مخلوق الاديم أما الغني فكان متسربلا بالارجوان مزورا بالجمان وعلى رأسه اكليل مرصع وفي أصبعه خاتم يسطع والحفد يطوف حوله والحشم يمتثل قوله أما الفقير فكان ملتفا بالاسمال والاطمار وممنطقا ومبرقعا بالاتعاب والاكدار وعلى رأسه عمامة خلقه وفي أصبعه خاتم حلقة فرفع الغني الى الفقير نظره وحملقه وشذره ثم قال له بلسان جرى وصوت جهورى (الغني)

ما شأنك والجلوس أمامي والحضرة في مقامي يا أيها الرجل الحقير والانسان الفقير فكيف جسرت على الدخول في هذا الباب وشجعت على هذه الاعتاب ومن أنت وما أنت وكيف وجدت ومتى كنت أما تدري ان الاغنياء سلاطين الزمان وأرباب الأوان وهيبتهم تهول الحدثان اذا تحركوا واحركوا واذا نطقوا استنطقوا واذا خاطبوا خطبوا واذا طاروا طاروا فهم الذين يسودون الجماعة ويتصدرون في كل قاعة يخطرون في أعظم الثياب ويسحبون مطارف الاعجاب لهم المقامات العليا ولاجلهم خلقت الدنيا فيجتنون مسراتها ويقتطفون ثمراتها ويهصرون كل عود ويجتدون كل جود

الفقير لا تفتخر أيها الغني بغناك ولا تعجب لجمال مغناك فاذلك بصالح الاعمال وما كان الا للزوال ولو كنت دهقان الزمان وقهرمان الحدثان فستظلم بسراجك وستدرج بديباجك وأنت

في الاكليل مكبول وفي الغلائل مغلول تحيى قلقا وتحيى أرقا وأنت غريق بلجج الاعمال وحريق بنار الآمال لاينعم لك جنب ولو توسدت النعام ولايترخم لك منزل على الرخام فلاتعتر أليف الجهاد وحليف الاجتهاد بينما لايبرح قلبك متمزقا بانياب المطامع ولاتزال مجامعك متفرقة بين المجامع فكلما أعطيت استعطيت وأينما استعصيت عصيت وكيفما بخلت بخلت وكلما بخلت خبلت وحيثما حسيت حسبت وأيان نسيت نسبت فانت المثرى المرثى والذهب المغنى أما سلطانك فعلى نفسك وتحنيك على جانى فلسك وهيبتك على أهلك والافتهلك فما اعتبروك الا ليعيروك وما مجدوك الا ليحمدوك وما اصطفوك الا ليقطفوك وما صدروك الا ليردوك حتى اذا ما قفيت استقفوك وقالوا أمك وأبوك

(الغنى) اخس اخس ولهذرك انس فنحن القوم الكبار وأنتم الناس الصغار ونحن الاعيان الرفاع وأنتم آل سوقة الرعاع فهل تقومون الابنا وهل تمطرون الا بسحبنا فطالما غيضنا منكم البكا وفيضنا عليكم الوكا وأنتم تدرون ولاتفعلون وتفعلون ولاتدرون فكلكم أهل متلوف ومامنكم رب معروف فلتعش الامانه ولتمت الخيانه

(الفقير) أصمت صه اسكت مه فما دعواك هذه الابنة الجهل آفة الاغنياء وحليفة الكبرياء فاذا راجعت النفس ترى العكس اذ أنتم بنا تحيون ومن مناهلنا تروون فنحن الفيئة الكبرى وأنتم الفرقة الصغرى ونحن فعلة الطبيعة وشغلة الارض الوسيعة نحرث الارض ونشتغلها ونسكن الرحاب ونأهلها فلانحتاج اليكم ولا للمثول لديكم اذ نقتات من النبت والشجر ونلبس الصوف والوبر ونستضئ بالشمس والقمر ونتوسد التراب والحجر على نعيم البال وخلو البلبال وصحة البدن وطيب الغدن أما أنتم فماذا تعملون اذا لم نزدكم وكيف تعيشون اذا لم نفدكم يانسل البليد وأهل التليد فهل يغنيكم التبر

عن التراب والاكتان عن الرحاب والياقوت عن القوت والبحر عن
الحوت انما الدر من الصدف والانتظام من الصدف فاذا أطمعتمونا
بمالكم فلنيل آمالكم واذا عاملتمونا بأعمالنا لتخفيف أحمالنا
فانتم تحيون بنا ونحن نشتغل بكم فلا تحيجونا لثلبكم أو لسلبكم
(الغنى) فنهض الغنى على قدميه وبسط جفون عينيه وكشر أسنانه
ودلع لسانه لماذا أكثرت شتمى وأطلت رجمى وأنت تغيظنى
بخطائك وتعدى عن الحدود خطائك هاتكا حرمة الادب وفاتكا
بسطوة النشب فلا أعتبن عليك اذ لا تهذيب لديك على ان
الفجور من شأن الفاقة وما أقبح الفاقة والحماقة فلا يجود الفقير
ولا يسود الاسير
(الفقير) الشتم بالشتم والرجم بالرجم ولو لم تتخط الادب ما استنطقتك
العتب فانت المبتدى والمبتدى معتدى والادب من خلق النفس
كالنور من الشمس لا يأتى بالكتاب ولا بالجد والطلاب فمن لم
يكن ذا استعداد لم يفز بالمراد فلا علم يفيد ولا معلم يقيد والتربية
فى الاقلال أعظم منها فى الاموال فالفقير يثقفه الكدّ ويهذبه الجد
وتربيه الايام وتصلحه الانام فتحسن صفاته وتحمد أوقاته ويأمن
شر النكد وضر اللدد ووقائع المباراه ومواقع المداراه وشوائب
المناجاه ومعائب المداجاه فيعيش بلا كدر ويموت بلا حذر تاركا
حسن الاثر اذ لا يتعنى فى لعل وليت ولا يتمنى خراب بيت ولا يتهنى
بانقلاب صيت ولا يتكنى بالخرّيت فيكون كل كنزه فى الحصول
على خبزه حتى لا يخامره مرض المطامع ولا مضض المسامع فيخلو
من الحسد المفترس والطمع المختلس والكبرياء الوحشيه والاميال
الفحشيه أى كل الانفعالات الا التى تحرق الانسان ولو كان فى الجنان

﴿حال الحرب﴾

خربت الارض خرابا وانقلبت الجماعة انقلابا لان الحرب انتشبت

والفتنة انتصبت فتباعدت الشعوب وتنافرت القلوب وخيم
سحاب البغض واكفهر محيا الارض حتى اذا ماكثرت مضارب
السيوف وتطنبت مضارب الحتوف جرت الدماء كالجوارى وتضوّرت
الناس كالضوارى فهبطت جواشن النظام وانقلعت شواجن
الانضمام وانثلت عروش الصنائع وانسدت مسالك البضائع
وسقطت التجارة وانقطعت الاجاره وتقوّضت البلاد وانجزر الامداد
وذهب الجار يعوث بالجار والمزار يشط عن المزار وراح كل يزيغ
فى وعث البلى ويروغ فى وعكة القلى فما هذا الدثار الغام والدمار التام
انما هو الحرب والطعن والضرب حيثما الفيالق تحمل على الفيالق
والبنادق تسطو على البنادق والكتائب تتجاذب الكتائب
والركائب تغور على الركائب والقنابل تصادم القنابل والذوابل
تستميل الذوابل فتتكسر السنابك على السنابك وتلتطم المسابك
فى المسابك اذ تلعلع المدافع باهوالها وتهال الارض فتزلزل زلزالها
بينما تنخف القماقم وتتطاير الجماجم وتتساقط الهياكل المتحركه
وتنهدم المبانى المدركه يوم يصفر البحر بالامواج وتلغط الاودية
بالرجاج ويلبس الحوّ جلباب القتام وتغور السماء فى حجاب الظلام
ترقد عيون الذرارى وتدلهم وجوه الثرارى فظلمات بعضها فوق بعض
وبلابل تبلبل السماء مع الارض فماذاك من شأن الصواب وما هو
الا رجسة الخراب ووقوع العذاب والمصاب فكيف تنزل البشر منازل
البهائم العاريه ويفعل الانسان فعل الوحوش الضاريه اذ ينشر عقد
شمله ويفرق مجامع جمله شاهرا حسام القراع وساهرا بأعين النزاع
على عزيمة الصراع ليختلس جيرانه ويقتبس أقرانه محرّضا من
عدوّ الطمع الالد ووساوس الحسد الاشد يستزيد ذاته بنقص الغير
وينسج خيره بنقض الخير ولذلك لا يفتر مشتغلا بتتميم العدد وتكثير
العدد فسوف ينجم النقصان عن التمام ويستقرّ الوجود من الاعدام

والحسام يبطل الحسام فالضرب يغلب الضرب والحرب تقلب الحرب

﴿حال السلم﴾

ولما وقعت دول الحروب وسكنت حركات الشعوب تبسم ثغر السلم عن شنب الهدو وطافت كؤس البشرى على الآصال والغدو وأسفرت الارض عن محيا الابتسام فاغتبطت الناس فى بشائر الامن والسلام حتى اتشحت البوادى بجلابيب التهانى وامتصت الصوادى أنابيب الامانى وعاد الورى ينضم الى الورى والقوم يحمد السرى وازدهت البلاد وازدهرت العباد وتمكنت مبانى الاعمال وتوطدت مغانى الأشغال و بذخت قصور العمار واستقرت متون القرار وانتظمت سلوك الوفاق وانفصمت عرى الشقاق فخرس الفم الفاغر وانكسر الذراع الكاسر وانقهر الطبع القاهر حتى نام الطرف السهود وطاب الفؤاد المفؤد ونعم عوف الجبان وأمن خوف الزمان وفك الغنى طلاسم كنوزه وأخذ الذهب ببروزه فرنت الاغانى فى المغانى وغنت الاوانى على الاوانى وقلص نهار الافراح ليل الاتراح واستظهرت الاقلام على الصفاح فماهذه الحالة الهادية والعيشة الراضية انما ذلك طلوع السلام ووقوع الخصام حيثما تنعم الناس و يتبادلون الايناس آمنين على بيوتهم وظافرين بقوتهم فيعيشون حسب خوفهم يموتون حتف أنوفهم فليعش السلم المبتغى وليمت الحرب والوغى

﴿حال الحب﴾

انما الحب رباط الجمهور ووفاض الامور وصديق السراء وعدو الضراء به تتفق الشعائر وتلتصق العشائر وتبلغ الاوطار وتغلب الاطوار لا يقوم لديه عنيت ولا يسطو عليه صليت أينما حل رحلت الشرور ونزل السرور ونهض الوفاق ووقع الشقاق لا يتوطد بيت الا به ولا يثبت قوم بانقلابه فهو الاساس المتين والعضد المعين وهو البطل

المغوار والعسكر الجرار لاتنزل راياته الخافقه ولاتنذل غاراته الدافعه
له الغار كلما غار والغور أينما سار والسطوة حيثما ثار وله الاعتبار
والكرامه والمجد والفخامه لايقبل الشين ولايرضى المين ولايصحب
خلقا ذميما ولاطبعا ثيما ولايلامس متصلفا ولايدانى متجرفا
ولايرافق الكبرياء ولايواصل الرياء ويرفض النفاق ولايقبل
الصداق فهو السماحة والحق والدعة والصدق والتواضع
والاناسه والشرف والنفاسه والكرم والجود والرفد والوفود
والغوث والاعانه والاحسان والامانه ويقسم الحب الى خمسة أقسام
وهى الابوى والبنوى والاخوى والودادى والعشقى أما الابوى
فهو حب الآباء لابنائهم ولايوجد أصدق وأثبت من هذا الحب فلاتغيره
لايام ولاتعارضه الاعوام أما البنوى فهو حب الابناء لآبائهم
وهذا الحب يحط الى المرتبة الثانية انحطاط المعلول عن العلة فلايبادل
الابن والديه مساواة الحب على أن الابن لايشعر بمحبة والديه الا بعد
محبتهما له مدة طويلة أعنى كل سن الفتوة والاغلبية للمتقدم وبينما
يعقل الابن و يبتدى أن يحب والديه يعود مشعرا بصعوبة تربيتهما له
والتزامه بالطاعة لهما فاذ يكون مطبوعا على حب الحرية يرى نفسه غير
حاصل عليها فلايمكنه أن يحبهما بمقدار حبهما له لمعارضتهما اياه فى سلوكه
واذا كان نشأ على خوفهما فلايجتمع حب الشئ والخوف منه معا فيكون
ذا الحب الابوى طبيعيا والبنوى أدبيا هذا اذا لم نقل ان الحب
نتيجة المؤالفه

أما الاخوى فهو الحب القائم بين الاخوة وهذا هو نتيجة المؤالفة
محضا وقد ينقص و يزيد بمقدار هذه المؤالفه وقد يشتد فى البعض
وينقص فى البعض وقد لايوجد أبدا تبعا لآداب الاخوة وتربيتهم وما
تعودوه من آبائهم أما الحب الودادى فهو الحب الذى يوجد بين الاقارب
والاصحاب وهو نتيجة المؤالفة أيضا وهذا اما أن يكون مخلصا واما أن

يكون لغرض فالمخلص نادر والغرضى كثير ومتواتر وربما انقلب الغرضى
الى مخلص والمخلص الى غرضى تبعا لقرائن الاحوال ومواقع الاعمال
أما العشق فهو حركة تشمل القلب وتشغل الخاطر أما حصولها فيكون
أولا على طريقة الوداد أو الميل البسيط ثم ترتقى الى درجة الحب وهو
الميل الثابت الى المحبوب ثم تصعد أخيرا الى درجة العشق وهناك اذا
أفرطت تدعى بالهوى أو الجوى أو الغرام وذلك حسب قوتها
فاذا نزل العشق فى قلب الشخص رحل صوابه وصارت كل أفكاره
تدور على هذا الاسم وهكذا فتعود كل تصرفاته منصرفة الى وجه الحبيب
بحيث لا يعود ساعيا الا فى سبيل مرضاته ولا يطلب الا شهوده حيثما
يغدو وموقعا الملاعب الآلام ومهبا العواصف الأميال فيهيم ديمار
ويروغ ويغار واذا تبدل شهوده بالغيبة تلاعبت به خمرة الاشواق
وعبثت بقلبه نار الاتواق فيحن ويئن ويضيق صدره ويضطرب فكره
ويأخذه القلق ويشمله الأرق ويتصعد ويتنهد ويهيم الى الطرقات
ويرصد الطاقات ولا يلذله سوى تردد ذكر الحبيب واللهج به
ومن عادة العشق أن يلطف طباع العاشق ويجعله سميرا ونديما ولبيبا
ويرقى طبيعته ويرقص أفكاره ويدعوها الى رقة الغزل والتشبيب
بالجمال حتى يعود يمكنه التلاعب باحوال كل الوجود فيصير مصورا
للطبيعة اذ يتوهم فيها الصور المحبوبة لديه وشاعرا لكل الحركات
والظواهر المحيطة به اذ يرى ان لكل منها خدمة فى بيت الحب ولعبا
فى مشهد الهوى على انه يرى ان الخليقة تتنفس لديه بالحياة وتتنفس
كربه وترعرع مثواه فيناجى الافلاك ويرسم الرياض ويخاطب
الازهار ويطارح الاطيار ويشخص الليل والنهار ومن ذلك ما أقول

نفض الشرق على وجه المغيب ❊ غبرة الديجور
وسعى الصبح على العود الرطيب ❊ بكؤس النور
فانثنى يرقص والامر عجيب ❊ رقصة المخمور

بقوام خلته قـــد الحبيب ❊ أسكرته الحور

❊دور❊

والنسيم العذب يجرى فى الصباح ❊ حامـل الرند
وعلى الازهار فوق الدوح صاح ❊ بلبل السـعد
وندى الفجـــر على النسرين لاح ❊ طالب العقد
قد حكى درا على جيـد رتيب ❊ أو على كافور

❊دور❊

ومهاة أقبلت اثر النهار ❊ تحت ظـل الليل
أقبلت بعـد عتوّ ونفار ❊ تستعيد الميل
وهـى تدنو بحيـاء وافتراز ❊ والهوى كالسيل
زورة قد أولت الصب الكئيب ❊ بهجـة المسرور

❊دور❊

حبها القاسى وقلبى ارتبطا ❊ برباط العهد
انما عقد اصطبارى انفرطا ❊ بالجفا والصدّ
وفؤادى لم يزل مختبطا ❊ فى الجوى والوجد
وأنا بين عذول ورقيب ❊ أنجز المقدور

❊دور❊

سمحت لى كلما مدّت يدا ❊ صاد قلبى القلب
ذات قد بردا اللين ارتدى ❊ ليت ذا للقلب
وأنا عنها ولو ذقت الردى ❊ ليس لى من قلب
آه كم جار على قلبى السليب ❊ جفنها المكسور

❊دور❊

ذمية عجباء ما بين الدمى ❊ تفضح الغيدا
ريمة ترتع فى قلبى فما ❊ تعرف البيدا
ذات عقد يزدهينى كلما ❊ يلبس الجيدا

وعيون كيفما دارت بصيب * نيلها المحذور

* ومن ذلك *

بالله قولى لنا يانسمة السحر * من أين جئت بهذا النافح العطر
ومن أمدك كل اللطف واعجبى * حتى غدوت بشير الصبح للبشر
وما فعلت مع الروض الانيق فما * خطرت الا وفاقت أعين الزهر
وأى سر ترى فيك الطيور فما * سريت الا وغنت فى ذرى الشجر
فهل سبقت عروس الصبح وهى على * نار فقبلت خد الورد من قرى
وهل ضممت رقيق الخصر منه وقد * ثملت بالراح بين الطلع والدرر
وهل شرحت لخود الروض يقظته * عند الصباح أمام النرجس النضر
وهل رويت لاسماع البلابل عن * وساوس الحلى بين الورد والصدر
فهاجنيت على كل الانام بما * جنيت من ذلك الوسنان فى السحر
بالله يا ريح ان مكنت ثانية * من صدغه فاقيمى فيه واستترى

* ومن ذلك القبيل *

اذا خطرت نسيم من سعاد * أثارت كل شوق فى فؤادى
وان لمعت بروق من حماها * همى من أعينى صوب العهاد
نجوم الليل هل تدرين أنى * نظيرك لم أذق طعم الرقاد
فقصى يا نجوم على مما * علمت من المواقع والجهاد
فليس سواك لى أبدا سمير * يعزينى ويعلم مامرادى
ويروى لى حديث ذوى التصابى * ويسعفنى على حمل السهاد
ويا ورقاء فوق الايك ناحت * أمن هجر نواحك أم بعاد
أراك تردّدين على لحنا * يذيب سماعه قلب الجماد
فقد هيجت مهجة كل صب * وقد نحت معطف كل شاد
ويا قضب الاراك أراك سكرى * لعلك شمت ثغر سعاد بادى
فهلى يا غصون على ميلى * نعم بك للهوى لعبت أيادى
ويا زهر الربى من أين آت * عبيرك هل شممت شذا سعاد

فعدت

وعدت بأعين سهري وجسم * نحيل واهتزاز وارتعاد
ويا ماء الغدير أراك مثلي * تأن ولست مفؤد الفؤاد
فانت على فراش الوصل تجرى * طوال الدهر من دون ابتعاد
روبدك يا غرام فكل خلق * غدا بيديك مطروح القياد
فكم يا فاسدا لك من صلاح * وكم يا صالحا لك من فساد
وكم يا داعيا لك من مجيب * وكم يا ظالما لك من منادى
فما من دولة دامت ولكن * لدولتك الدوام على التمادى
وكل فتى له عبد ولكن * نظيرى ليس يوجد فى العباد
فوا عجبا لقلبى كيف يقضى * شروط الاسر وهو بلا رشاد
وغانية علقت بها غراما * بدت لى كالزلال لقلب صادى
فهمت الى ورود الثغر منها * عسى الجريال يروى ذا اتقاد
وعيس صبابتى تسعى اليها * على لغب وداعى الشوق حادى
أسير ونصب عينى نار سلمى * وبين جوانحى قدح الزناد

ومن ذلك الوجه موشح

لاح بدر الحسن من برج الحما * فتضى بالنور سجف الغلس
وسقانا اذ رنا متبسما * خمرة قد عصرت من نرجس

دور

قرضاء سنا طلعته * فى دجى الشعر فلاغاب القمر
وبدا الورد على وجنته * فغدا للقلب يحلو والنظر
كتب الحسن على غرته * لاينال الوصل الامن صبر
وعلى قلبى هواه رسما * صور الشوق بنار الهجس
وأعاد الطرف يرعى الظلما * والدارى صرن لى كالحرس

دور

هز من قامته رمح الهوى * وانتضى من جفنه سيف القضا
وأتى يسلب روحى والقوى * بعد ما قد كان عنى معرضا

ليت يدرى ما بقلبى من جوى * عله يبكى عليه ان قضا
صحت مذ أورث جسمى السقما * بالجفا وهو شفاء الانفس
ياغزال الحى رفقا بى فما * تركت عيناك لى من نفس

دور

أيها الغالب بالطرف الكحيل * مغرما يرعى الصبا والوصبا
ته بما شئت فلى صبر جميل * اذ أرى الدنيا لمن قد غلبا
لك ثغر باللمى يشفى العليل * بأبى أفديه ثغرا أشنبا
ورضاب ليته يطفى الظما * من فؤاد فيه نار القبس
ودلال بعذابى حكما * فانا اليوم كثير الهوس

دور

زارنى والليل كالبحر اعتكر * وبه الشهب جرت كالسفن
والدرارى قد حكت فيه الدرر * أو عيون الغيد اذ تغمزنى
وعلى كل الورى أنقى القمر * حزم النور وهم فى الوسن
فلثمت الخد منه والفما * وهو يسبينى بلطف المس
والدجى مد علينا خيما * ليت لا تطوى خيام الحندس

دور

وانثنى عنى وقد لاح السحر * وانتهى كل بتوديع الحبيب
والندا كال تيجان الزهر * وشدا الطير على الغصن الرطيب
وضياء الصبح فى الشرق انتشر * وانطوى الليل يجور فى وادى المغيب
فلكم ذاق فؤادى ألما * حينما ودعت كرها مؤنسى
ولكم أجريت دمعا كالدما * من عيون فى الهوى لم تنعس

دور

جرد الافق على عنق الظلام * صارم الانوار والقطب يدور
وغدا للصبح فى الشرق اضطرام * ولجيش الليل فى الغرب فتور
فبكت للبين أجفان الغمام * أدمعا لاحت بأفواه الزهور

ونجوم الاوج غارت فى السما * وتوارت فى حجاب الاطلس
وفؤادى قد غدا مضطرما * مذ تقضى طيب ذاك المجلس

دور

سطر الفجر على لوح الجلد * بيراع النور أحكام النهار
فازدهى وجه السما بعد الكمد * اذ بدت شمس الضحى والنجم غار
وكذا الثور جرى خلف الاسد * راكب الحوت ودب الاوج طار
وصبت روحى الى ذاك الحمى * حيثما يرتع ظبى الانس
فهناك الحظ لى قد قسما * فى ليال قد مضت كالعرس

دور

يا أخا الاشواق سم صبرا على * ذلك الوجد الذى فيك جرى
واحمل العشق ولا تشك البلا * فالهوى يجرى على كل الورى
ان كاس الحب يحلو للملا * وبه كل فؤاد سكرا
بئس قلب لم يذق حب الدمى * فهو أحلى من مذاق الاكؤس
ورعى الله فؤادا ختما * بدم العشق و بالشوق كسى

دور

غرد الحسن على دوح القدود * فغدت ترقص أعطاف الجوى
واستوى الورد على عرش الخدود * لابساحلة سلطان الهوى
والعيون السود بالسحر تسود * ولها تخضع أرباب القوى
حدق تفعل بالقلب كما * فعلت كاس الطلا بالأرؤس
ونهود غادرتنى أبكما * دهشة وهى شفاء الخرس

ومن ذلك النمط

حتام ياذات الجمال الاعظم * تهوين تعذيبى بجسمى أعظمى
مهلا فقد بلغ الجفا ماشئت من * جسدى ورفقا بالشجى المغرم
قسما بحسنك وهو خير أليه * عندى وقط بغيره لم أقسم
لا أبتغى الاعتاق من أسر الهوى * أبدا ولو سفكت بواتره دمى

أفدى التى أبدت لعينى وجنة * ترهو بحسن تضرج وتضرم
قنواء اذ هزت قناة قوامها * ناديت واتلفى وفرط تألمى
ياقلب هذا الحب فاحمل ضيمه * علنا ولاتسمع لهذر اللوّم
واصبر على البلوى فكيف تردّما * دفعت اليك يد القضاء المبرم
قل للذى يشكو الهوى وهوانه * سلم أمورك للاحبة تسلم
ياربة الحسن التى سبت النهى * يكفيك ما فعلت عيونك فارحمى
حللت فصلى وهو غير محلل * وحرمت وصلى وهو غير محرّم
عودى المحبّ فسقمه لك شاهد * عن صحة الحب الذى لم يسقم
لاأشكونّ لك الصبابة والجوى * حذر المخيبة فارحمى أو فاظلمى
فاذا رآك القلب ضج كانه * لك يقصد الشكوى على كره الفم
لاتجعبى عنى جمالك ذا السنى * فبغير منظره أنالم أنعم
واذا حجبت بهاء ذاك الحسن عن * عينى فانظره بعين توهمى
والوهم يجلى للفتى مالم يكن * طوع العيان فكم به من مغنم
أفدى بروحى ذلك الوجه الذى * جمع الجمال ولطف ذاك المبسم
زيحى لثامك يابنة الصبح التى * قد أصبحت شرفا لكل الانجم
فتى ترى عيناى ماقتلت به * روحى عسى تحيى بمنظره السمى
فلو انجلت كل الغوانى لى ولم * أك ناظر السناك لم أتنعم
ان كان لايبنى لغيرك منزل * فى مهجتى فصبابتى لم تهدم
فاذا انبسطت القلب بسط مشرح * وخصصت عضو العقل خص معلم
تجدى بذاغى الهوى عوض الهدى * وبذاك نيران الجوى بدل الدم
قومى انظرى حوض المياه عسى اذا * عاينت حسنك ترحمين تتيمى
فلقد حويت من المحاسن مابه * أصبحت ذا قلب بحبك مغرم
لك قامة قامت بها طرف الصبى * خلت وطرف كالظبا والاسهم
ولواحظ ماغازلتنى خفية * الا وأخفت فىّ كل تألم
حدق أحلن دمى وكل عناصرى * بقوى الجمال الى الغرام المرغم

حتى غدوت بغير أنسك لا أرى * حظا ولو قد حزت كل تنعم
هذا هو الشرف الذى لسواك لم * يسمح به فتدللى وتحكمى
شرف لديه كل قلب خافق * أبدا وكل فم يرى كالا بكم
أيحل فى شرع الهوى للك هجر من * لم يرج منك سوى محادثة الفم
فاناوان كان الهوى بى محدقا * عف نفيس النفس لم أتجرّم
ولقد صبرت على تباريح الجوى * صبرا تعجب منه كل متيم
فضعى يديك على ضناصدرى عسى * تدرين ما فعل الغرام بأعظمى
واذا الغرام أماتنى كمدا فذا * حق قد استوفاه حسنك فاسلمى
ليت القضا يحتال أن يلقيك فى * وادى الهوى لترى عذاب المغرم
فمن المحال على خلىّ القلب أن * يدرى صبابات الشجى المكلم
أذنى عن العذال واللوّام فى * صمم وطرفى عن سواك غداعمى
يالائمى دعنى فلا أسلو وهل * يصغى المحب الى الملام المظلم
عبثت أيادى الدهر بى فأذبلنى * وأعادت العبرات مثل العندم
حتى كأن جميع أعضائى غدت * غدر الافرازالهيام الاعظم
كم ليلة قد بات طرفى ناثرا * درر الدموع لدى درارى الديجم
أرعى مسير الشهب فى كبد العلى * وأنا أنادى أيها الفجر اهجم
اذ يخلى المريخ كالدينار فى * كف السما والمشترى كالدرهم
وكأنّ جبار النجوم على الدجى * جبار قوم فوق صهوة أدهم
حيث المجرّة نهر نور فى السما * يسقى حديقة نرجس من أنجم
فاذا نظرت الى السماء وجدتها * بنجومها مثل الطراز المعلم
فمناظر الافلاك راقت كل ذى * سهر فأشقى عيون النوّم
فالسهد مثل الشهد للعشاق قد * يحلو وللخالين مثل العلقم
يالله وى كم قد أرقت دياجرا * بهوى غزال راح يغزو كالكمى
ظبى اذا مالاح صحت تشوّقا * يامقلتى هذا نعيمك فاغنمى
يا أيها الرشأ الذى سلب النهى * منى وغادرنى أليف تظلم

كن راحما من قد سكنت فؤاده * صب لديك رحمت أم لم ترحم
واذا صرمت حبال ذياك الولا * فانا لحبل صبابتي لم أصرم
فضحك الحسود شماتة لما رأى * منك القطوب فبكه بتبسم
ليس الحسود يسود قط فقلبه * متعذب أبدا بنار جهنم

ومن ذلك النسق

مازال يعصى الهوى والحسن يخضعه * حتى جرت في لهيب الحب أدمعه
صب الى كل حسناء صباولها * لكن اليك وقاك الله مرجعه
هيهات يعشق قلبي يامنای سوى * هذى العيون التي بالسحر تصرعه
لو احظفوقها بالحسن قد كتبت * يد الصباجاذب لاشئ يدفعه
فان أكن عنك أظهرت السلوّ فذا * تظاهر كان يشقيني ترقعه
أين السلوّ وطرفي كان يسرق من * مرآك اذ لحت ما في القلب موقعه
عودي الى فثوب الميل نحوك لا * يبلى ولست مدى الايام أخلعه
واسترجعي ذلك الانس القديم ولا * تنسى هوى في أقاصي القلب مرتعه
لاتنكري الحب أوخبي اصفرارك اذ * أبد وفوجه المعنى ذاك برقعه
لحسن وجهك فعل لست أدركه * على فؤادي فكم في السر يصرعه
لم أدر هل قد أراني البرق ثغرك اذ * بسمت أم ذاك ماء الظرف ينبعه
كأنما بين عينيك الجمال دعا * قلبي الى فتنة فانساب يتبعه
صرعت ذا القلب بالالحاظ ظالمة * فظل يخفق حتى ضاع موضعه
مدت له عينك الكحلاء سلسلة * خفية نحو أوج العشق ترفعه
هناك مرآك عند القرب يوسعه * وجدا وذكراك عند البعد تفجعه
اليك كل كمال ينتمي ولذا * عليك كل جمال قام مهيعه
لذاك لاأنثني نحو السوى فانا * واف وثوب غرامي لست أنزعه
هذه يدي ووثاق العهد يربطها * وذا فؤادي وعضب الشوق يقطعه
وذي دموعي وخوف الهتك يمسحها * وذاك نوحي واذن الليل تسمعه
قومي بنا يا ابنة الصبح المنير الى * روض به الزهر يحلولي تنوّعه

حيث الغدير رأى غدر القضا فجرى * يئن والشط يلويه ويدفعه
كأنه راكض يبغي قتال عدى * والريح بالزرد الفضي تدرعه
وفوقه لغصون الحور مشتبك * يحكي صراع عفاريت توقعه
والبدر من خلل الاوراق يطلب أن * يلوح والريح تعطيه وتمنعه
كعادة نظرت معشوقها فغدت * تلوى الازار قليلا ثم ترجعه
والشهب تلقى على ظهر الغمام سنا * كأنها بجمال النور ترفعه
والبرق مثل حراب النار يرشق من * قوس السحاب وبطن الجو يبلعه
حتى اذا ما الدجى ضمن الوهاد هوت * قبابه وانزوى في الافق مجمعه
والشرق من فمه المفترش على * وجه السماء نور راق منبعه
والغرب جمع جيش الليل فيه وقد * أحاطه بذراعيه يودعه
وقد سرت نسمات خلتها سحرا * روح الظلام الذي قد تم مصرعه
والصبح أرسل تلك الروح تسرق من * زهر الربى ما على الدنيا تضوّعه
صبت عيوني الى وجه التي سلبت * لبي وملت على صبري أشيعه
تلك التي كلما لاحت لدى نظري * ضج الفؤاد بصدري وهو يقرعه
تلك التي ان أكن صارمتها غضبا * فكل مر عذاب كنت أجرعه
تلك التي حيثما زارت عقيب قلى * ترنو الي بطرف سال مدمعه
والحسن يطفح من أقطار طلعتها * والوجد يقطر في قلبي فيوجعه
وضعت في يدها ذات الغرام يدي * والعهد بيننا يحيا توقعه
قالت وقد ذبلت ألحاظها خجلا * كنرجس جاء حر الشمس يلذعه
أي الذنوب جرى مني وهبك أنا * أذنبت فاذكر جنونا كنت تصنعه
أني أشعت سلوى حيث لا سبب * وكيف قلبك في غيري تضيعه
أنا التي لك قد خصصت قلبي اذ * لبست ثوب غرام رحت تخلعه
أنا التي في الدجى أصبو لشخصك عن * شوق وفي مهجتي الحراء أطبعه
أنا التي بك أيدي الشوق قد ربطت * طرفي وطرفك عني السهو يقلعه
أجبتها ولهيب الوجد متقد * وفي فؤادي أسياف تقطعه

الذنب منى فكفى أدمعا جبت * برق الشباب بطرف جل مبدعه
يا مهجتى يا مرادى يا حياة دمى * يا من بغيرك طرفى لا أمتعه
اليك مازلت مجذوبا بغير يد * وفى حشاى الهوى مازال مربعه
وكلما كنت أنهى القلب منى عن * ذاك الهوى كان يعصينى ويتبعه
فاى سحر عليه قد رميت وما * هذا الذى لك عنه فاراح يخضعه
ان قلت حسن فكم بين الورى حسن * أو قلت طبع فانى لا أطبعه
ها قد عرفت عرفت السر فهو على * عينيك يفشيه احماش و يطلعه
أنت التى لك ميل لى اليك دعا * ميلى بعنف فهلا كنت أقمعه

ومن ذلك الصدد

ما للمليحة غضبى لا تكلمنى * كأنها بى لم تسمع ولم ترنى
غضبى ومالى من ذنب كما علمت * سوى افتتانى بمعنى وجهها الحسن
ما بال أعينها فى الارض مطرقة * وكلما أطرقت عيناى ترمقنى
ونحن فى مجلس قد قام من نخب * فمن حسود ومن واش ومن خشن
عسى العيون التى قد أتلفت كبدى * كلت من الفتك أو ملت من الفتن
أو أنها علمت ما قد جنت فغدت * من الخجالة ترنو مثل ذى وسن
هذا اذا لم تكن من غيرة غضبت * على وهما فما عادت تغازلنى
ليت المليحة تدرى أننى كلف * بها الى غيرها ما مالت فى زمنى
ولى ثبات عجيب فى الهوى عجبت * منه الجبال وحار الدهر ذو المحن
على عهودى ووددى قد ثبت لدى * صدم الزمان ولم أنقض ولم أخن
رويد جورك ياغضبى بلا سبب * منى الرضاء وهل للا ثم لم يحن
أطلت اعراضك الريمى فالتفتى * كالريم نحو فتى أحى الهوى وفنى
حتى يراك فيغدو والحشى قطع * والعقل فى ذهل والقلب فى حزن
مازال يهواك حتى صار يحسب ما * بين الملا من عباد الشمس والوثن
مهلا أيا صنم الحسن الذى سجدت * له قلوب الورى من سالف الزمن
شمشوم داود حمنون ابنه تبعا * كذا سليمان رب العقل والفطن

لله درّهم كل غداة البين * سوّاء قدوة طهر الروح والبدن

* وقال أيضا *

أسبلت فوق صحاح مراض * وجلت تحت سواد بياض
غادة في ليل طرّتها * مدمعي والنوم فاض وغاض
وجهها الراضي رياض الهوى * آه واشوقي لتلك الرياض
وخدود جعلت قلبها * قاسيا فظا وهنّ بضاض
مارنت كالظبي الاوقد * خلت حال الامر في القلب ماض
* واذا قامت بارداها * ضاق صبري بين تلك العراض
عبل لولا نهوض الصبي * كان لم يسمح لها بانتهاض
أيها الحسن العجيب أنا * لك عبد فاقض ما كنت قاض
صل وطل واحكم ونه واتمر * فأنا راض بما أنت راض
أنت لي كل الرغاب وما * أنت في الدنيا بشيء تعاض
كل أهوائي انقراض ومن * لاهتمامي في هواك انقراض
خضت منذ الحمل بحر الهوى * والى الآن أقاسي المخاض
ها أنا فيه على سفر * بادي الانفاض خالي الوفاض
فن الاشجان زادي ومن * مدمعي مائي متى شئت فاض
يا أحبائي أفاعي النوى * في فؤادي لا تكف العضاض
حكم الدهر لفرقتنا * ما على حكم القضاء اعتراض
ذكركم زلزلة في الحشى * ولها في كل جسمي انتفاض
وهواكم بي صحيح ولو * عندكم عل ودادي وهاض
لا تظنوا انني مثلكم * أذكر العهد متى الدنك باض
ذلك البين ليال على * عاشق شق الليالي وخاض
يا سراة السفح لا زلتم * في انبساط والعدى في انقباض
مارعى الهفاف غيطانكم * وسقى الرجاف تلك الغياض

* وقال *

ته بما شئت بالهوى وتحكم * واظلم الصب ماشكى وتظلم
ان تكن ظالما فظلمك عدل * لحبب عنى لديك وسلم
لك سلمت ياحبيبى أمرى * فلك اليوم أن تجور وترحم
ياهلالا سبى العيون ببدر * لاح من هالة الجمال المعظم
سد بطرف له لسان وسيف * بهما كلم الفؤاد وكلم
وكذا جر علىّ اذ ليس لى من * ذاك واق ولا الزمان اذاهم
ما استجار المحب بالدهر من جو * رك الا كما استجير من الرم
سفكت بالفتور أعينك السو * د دمى فالامان ياسافك الدم
قد قضى الله أن أكون عميدا * بك فارفق ان القضاء لمبرم
كم وكم عن هواك حاولت سلوا * فالاقضى منك انتقاما وكم لم
فصوابى ذوالعدل يدعوالى الثا * ر وقلبى ذوالحلم يعفو ويرحم
ذاك ثاران يحل فالعفو أحلى * وكلا الخلتين فى الحب علقم
ليس لى حيلة بها العدل يرضى * غير أخذى علىّ ذنبك فاسلم
ان ذنبى ذنب عظيم ولكن * لك عفو عن ذلك الذنب أعظم
ان أكن قد سلوت عنك فما كا * ن سلوى الا سحابا تجهم
كيف أسلوك يامعذب قلبى * لا ومن يدرى ما بقلبى ويعلم
فانا ما بدلت تبرا بترب * مذ بدلت الدينار أنت بدرهم
وعلى كل حالة ان أحل يو * ما فانى أتوب حولا وأندم
أنت غصن الهناء فى العين لكن * أنت والله فى الحشا شجر الهم
فجفاك العريض أقتل من سم * وصبرى المريض أضيق من سم
وأنا فى الحالين ميت وحى * بالجفا والرجاء والله أعلم

ومن ذلك المنوال

ياسعاد لاتسلى * عن بكاى ذاشغلى
لو علمت سفك دمى * ما بعدت عن مقلى
كيف حلت عن كاف * عنك قط لم يحل

وابتعدت عن مقل * عدن بعد فى علل
فى نواك يا طلبى * قد بليت كالطلل
صرت فاقدا رشدى * مثل شارب ثمل
والهوى على مهل * والصبا على عجل
فالشباب زال وما * للشباب لم يزل
والجمال منك اذا * لاح فاز بالمقل
فاغنميه قبل فنا * فالجمال كالدول
وابتلى الفؤاد ولو * لا الرجا لكان بلى
انفى على أمل * باللقاء والقبل
والممات أحسن من * عيشة بلا أمل
يابكا مودّعنى * نحو أعينى انتقل
أعينى معوّدة * فى الهوى على الهطل
ذا الوداع أودعنى * حرقة الى الازل
قد أضعت عهد يدى * اذ قطعت متصلى
ياسعاد لن تصلى * للعهود أن تصلى
ما أناسوى رجل * يستسير كالرجل
رغم ذا الزمان وما * فى خطاه من خطل

وقد يخامر الحب النكد ويداهمه الحسد وتسعى فيه الوشاة وتحدق به اللحاة فينقلب الحب الى سلوان والود الى عدوان ويتبدل الوصال بالصدود والارق بالهجود ولا يعود للعذل مقال ولا للنسيب مجال وحينئذ يهتف المجد بصوت السلوّ ويتكلم بلغة الخلوّ شارحا أسباب سلوانه وبواعث عدوانه ويحدّث عن الانقلاب كما قلت فى هذا الباب

أأذوب لا والله لست أذوب * ان قال تركك قلت ذا المطلوب
انى امرؤ عف الطباع وليس لى * يهوى الذى لم يهونى تشبيب
لا أنكرن عليه حق دلاله * بجماله للناظرين عجيب

ولكل عين أعين ترنوله * ولكل قلب فى هواه قلوب
لكنّ قلبى لا يرنّ بحب ذى * قلب أصم الطبع ليس يجيب
وكذاك لم أنكر اناسة وجهه * لكنه شرس الفؤاد غضوب
مالم يكن بين القلوب تبادل * فى الحب لاحب ولا محبوب
رح يا رسول الى الحبيب وقل له * مات الغرام لكنّ البقا فتطيب
ان الحب سلاك فابشر بالمنا * واذهب فانت لمن تشاء حبيب
وليهن واش وليسر حواسد * وليرض لاح وليقرّ رقيب
والله لولم يدعنى هو أوّلا * بوداده لوداده فأجيب *
ما كنت لا والله همت بمثله * حبا ولم يك مضنى التخييب
لكنما لا يعرف الدنيا سوى * من راح يكشفها له التجريب
ياظبى بل يا نافرا عن ودّ من * قد كان منك لوده التسبيب
والله لم يضرب فؤادى بالهوى * لولم يئن فؤادك المضروب
وكذاك لم يسكب بخدك مدمعى * لولم يبن لى دمعك المسكوب
والآن أنت رميت بى سهم الجفا * فرددته لكنّ والمصيب يصيب
أبت المروأة أن يقيم على الهوى * قلبى وقلبك للسوى مقلوب
أما فلا عاد الجمال يصيدنى * حتى يصيد أبا العرين ربيب
مذ شبت عشقا عفتى فاغظتنى * فلسوف من غيظى عليك تشيب
ولكم شجيت بذا الى سهر الدجى * هانت فاسهر أيها المشجوب
قد تبت عنك فلست أرجع لا ومن * يهب الندامة ذا الخطا فيتوب

ومن ذلك

دع ذكر حادى السرى والوخد والابل * وخل عنك حديث الطل والطلل
وزر مواقع هوج اليعملات على * عوج الاباطح بين السهل والجبل
ولا تضج على سجف ولا حدج * ولا تعج على ظعن ولا جمل
واهجر ربوع خيام لا يجاورها * غير الرعام ولا تحوى سوى الهمل
مالى وللطنب الممدود فى وتد * يقوم بالسبب الزحاف ذى العلل

لا عاد يحسن لى ذوق التغزل فى * منازل غرقت فى أبحر الغزل
قد انحنى المنحنى من ثقل ما وضعوا * عليه من لا عجمات قن كالقلل
كذا اللوى قد لوى من وجدهم سأما
وقد ذوى البان من أشواقهم وبلى
كذا الغضا من زفير الهائمين به * ناداهم بلسان الحال واشعلى
وقد غدا بالدما وادى العقيق على * طفح فكم قد أذابوا فيه من مقل
دعنى فلست أنا ان كنت ذا كلف * ممن يشوب صحيح القول بالزعل
ولست ممن اذا جد الغرام به * أضحى يكابده بالرمز والحيل
فهل اذا طعنت قلبى قدود بنى * حسن أطيب بذكر البان والاسل
وهل اذا مارمت ألحاظهم كبدى * أقول هذى رماة النبل من ثعل
وهل اذا ثغر من أهوى تبسم لى * أطارح الابرق البراق بالقبل
لا والذى خلق الانسان مكتسيا * بالذوق غير عقيم العقل والعمل
لكل عصر رجال حسب دولته * فالآن ما الرجل العبسى بالرجل
كذا لكل زمان ألسن نطقت * بكل معنى جديد غير مبتذل
قد كان بالنازحين العيس تعسف فى * قفر الفلا ظالعات الخب والرمل
واليوم لم يبق للاقفار من رهط * ولم يعد لظهور النجب من دخل
ولم يعد فى خيام العرب من سكن * غير اللصوص وسقط الناس والسفل
فهل اذا ماجرت بالصحب باخرة * فى البحر أو فى الثرى أشكو الى الابل
ومن اذا الشمس فى لوح الضحى رقمت * بياضها قال هذى صفرة الطفل
هذى عصور علينا فى الجحاجد * فلا نبليها بالاعصر الاول
وقد أصاب بهذا الدهر كل فتى * بحر الكمال فلا يهفو الى الوشل
ورب طالب شئ ليس يدركه * أمسى وفى قلبه لذع من الامل
اذا بدا لى شأو لا وصول له * فلا أقول لنفسى ليت ذلك لى
وان أرم ود قلب غير منقلب * فانى رمت ظلا غير منتقل
تأبى النفوس العوالى أن يخامرها * حب الاسافل كره الاعين النجل

قوله بالزعل كذا بالاصل وليس لهذا القاموس معنى يناسب هنا ولعله محرف عن الدغل وهو دخل فى الامر مفسد كما فيه وحرر

وكيف يرعى كرام الطبع دون أذى * عهد اللئام رعاة الخون والخطل
والله ان خان ميثاقى الحبيب سلا * قلبى وحليت جيد الحب بالعطل
قولوا لليلعة والورد يطبع فى * احداقها شيم الحيران والثمل
ضربت بالغدر قلب الصب فاندملت
جراحه من ضراب الغنج والكحل
وقد أخذت باركان الهوى فهوت * وقعا كما أخذ الغدار بالبطل
قومى أريني أيامن بالهوى عبثت * وجها كسته يد الابرام بالهبل
مالى أراك بلا لطف ولا خجل * من بعد ما كنت ملء اللطف والخجل
مالى أراك الى كل على طمع * وكنت لى بالحيا مكحولة المقل
مالى أرى النفس منك الآن قد سقطت
على الحضيض وكانت فى ذرى الكمال
مابال وجهك هذا القح ملتفت * لكل داع وداع كل ذى شغل
مهلا فلم تدعى نفسا على طمع * بالوصل منك ولا قلبا على غلل
فل هذا وذا أقوى وذاك سلا * وأنت أنت بلا سلوى ولا ملل
وعندك كل فتى قد عاد مجتنبا * سوى فتى من بنى الاوباش والهمل
كاتمت ذا الكاشح النذل الهوى ففشى * وراح عن دبر يروى وعن قبل
من الاعاجم لا أصل ولا حسب * ولا صفات سوى الفحشاء والزلل
وحش من الحيوان السقط مفترس * وان بدا بشرا فالمسخ ذو خلل
ما كان قط ليرضى أن يرى شرفا * فطبعه من طباع البغل والوعل
يريش نبل المساوى والفساد لكى * يرمى الصلاح ولكن قط لم ينل
وان يكن بك قد تمت رمايته * فانت ممن أصابتهم يد الفشل
أغنيته عن جميع الناس فافتخرى * بذاك يا فخر فرد قام عن جمل
حسب الذباب افتخارا أنها شبعت * من القفاع وجاع النحل فى العسل
قد كنت لى فى مراح العز سارحة * تمشين كالليث اعجابا على مهل
والآن صرت تجاه الذل مجفلة * تسرين كالضب حيرى فى يد الوجل

فسوف تلقين أهوال الاسى قدما
من حيث ألقى الاسى عن ناظرى جلى
قد كنت أندب حظى منك نضو جوى * وها أنا الآن فى ضحك وفى جذل
قد كان يلقاك طرفى مطرقا خشعا * والآن تلقين طرفى غير محتفل
واليوم تبكى عليك العاذلات كما * قد كنت أبكيك بين العذر والعذل
فلا برحت بأفواه الملامة لا * ومنك لا برحت نفسى على جفل
بشراك بشراك بالصيت الذى لك قد * بدا فقد شرت بين الناس كالمثل
واستبشرى بوقوع الود عندك فذا * حمل عليك ثقيل غير محتمل
لا تأسفى ان يكن منك الجمال مضى * فان دولته من أقصر الدول
وهل مرادك الا خدع ذى بله * فاستبضعى رقع التمويه واشتغلى
يا للزوال خدود الورد قد ذبلت * كذاك غارت عيون النرجس الخضل
وقد هوت كل أركان الشباب سوى * قلب توطد بالوسواس والخبل
تبادل الصبح والديجور لونهما * فابيض هذا وذاك اسود بالعجل
ولم يعد من ملى الجسم منك لنا * سوى جلود على عظم بلا عضل
فلا يغرنك قومى البارزات فما * هذى سوى خرق شدت على قصل
ولا يغش فتى هذا الجمال على * ذاك الخنا فهو يحكى ألسن الشعل
وهكذا كل نبراس يضىء له * جوف يضم ظلاما بالدخان ملى
تلك الخصال التى رنت قباحتها * والحسن قبح على مستقبح الخصل
وجود مثلك فى الانثى أتاح لها * مقتا وقد يؤخذ المنقود بالدغل
انى وماضم قلبى من سلوك لم * أعتب عليك فكم لى عنك من بدل
لكن عتبى على قلبى فعادته * أن يصحب الناس والدنيا بلا دخل
خذوا من الناس ياذا الناس حذركم * فكم من الناس ذيب فى كساجمل
ماعدت أخشى الضوارى بعد غدركم * أنا الغريق فما خوفى من البلل
جنيت ذنبا أرى فيه معاقبتى * من لى بتصحيح ذنب باهظ الثقل
بنات حواء ما أنتن غير بلا * على بنى آدم كل بكن بلى

لكن فضل فكم منكن لى أدب * وربما صحت الاجسام بالعلل

* ومن ذلك أيضا *

لاتدعى ببقاء العشق والتمسى * غيرى فاين مزاج الكف والنفس
العشق لايدع الانفاس فاترة * ولايغادر لمس الكف كالقبس
علمت أنك قد خنت الغرام فلا * تخادعينى بلين القد والميس
ولاتظنى ابتسام الثغر يخدعنى * فليس لى خاطر فى ذلك اللعس
سلكت طرق الهوى عسفا كذى ذنب
من السما أومن الشطرنج كالفرس
لذا خلعت ثياب الحب مكتسيا * ثوب السلو ولم ألبث على هوسى
وقد حملت سلاح الصد عنك لكى * أردّ شوقى فانجو من يد الرجس
كونى بغيرى فى حظ كذا اليمن * ذا الغير مستهديا فالتيه فى الغلس
فسوف يرجع مغدورا على ندم * يبكى الدجى وينادى آه واتعسى
ما أنت الا كريش طاردته بلا * رفق يد الريح بين الاربع الدرس
تذكرى حينما أقسمت لى شرفا * بان قلبك عنى غير منعكس
يوما وضعنا بلا خص يدا بيد * وقد عقدنا عهودا عدن فى خرس
اذ لم أكن عالما أن العهود جرت * من كف مستأنس فى كف مفترس
فلم يكن منك قبض الكف لى علنا * للعهد لكن لخنق الحب بالخلس
نعم لخنق الهوى واحسرتاه نعم * لقتل ودى نعم للنكث والسبس
مالى أراك تريقين الدموع بلا * ذيلى وتبغين منى مرجع الانس
هلا علمت بأن الرأس منى لم * يخضع ولى قدم فى الذل لم يدس
لاعاد يخطر فى بالى الهوى فدعى * هذا الفتى آمنا من خلقك الشكس
أنذرت قلبى بما أوحى السلو لذا * سقطت منه كارطاميس من زفس
يكفى فؤادى ما قاسى وما احتملت * جوارحى من وقود الشوق والهجس
آها واأسفى كم قد نثرت على * هواك لؤلؤ دمع راح فى البخس
وكم سهرت الدجى شوقا وعينك فى * نوم فها الآن طرفى عنك فى نعس

وهاعيونك قد أمست مسهدة * ترجوالى وصولا وهى فى الدلس
وهاغدا اليوم منك القلب ملتمسا * ترجيع عشقى وقلبى غير ملتمس
لاتفرحى ان نظرت الوجه منى ذا * بشاشة فالهوى تحت البشوش نسى
ولاتظنى اصفرارى فى قدومك عن * خطور حب ولكن عن ظهور رمسى
فلاتغرك لين الطبع منى أو * بشاشتى فأناقاس كنبل قسى
كذاك للنظر المرآة تظهر من * ماء ولكنها للمس من يبس
دعى دعى ذلك الصب الذى فعلت * به طباعك فعل الظالم الشرس
فلست ألقى على باغى الاسى نظرى * ولو يكون بأنوار البدور كسى
قد كان يدوى بصوت الوجد قلبى اذ * أراك والآن أضحى جامد النفس
وكان ينطق فكرى بالغرام بلا * صمت فبدل ذاك النطق بالخرس
وكم سفكت دموعى أو دمائى على
رجليك أرجو الرضا من وجهك العبس
قد كنت حزنا لقلبى والهوى نكد * والآن صار له السلوان كالعرس
بغضت عشقك حتى لو تجسم لى * شخصا لكنت أريه الشنق بالمرس
* ومن ذلك أيضا *
سلوا فذا كر عهدتك ياقلبى * ألم تر أن الحب أشرك فى الحب
ألم تر من تهواه مال الى السوى * وعنك تخلى ريثما صرت فى الركب
لحى الله حبا روحه فى يد النوى * فما هو الارمة فى يد القرب
وماهو الاخدعة لاصبة * وما أصله ياصاح الاعلى الكذب
فلاعدت أمشى فى طريق الهوى فذا * طريق به من يمشى أصبح كالضب
طريق العنا والبؤس والضيم والضنا
وسهد الدجى والسقم والنوح والندب
رأيت الهوى مغرى بضربى على المدا
فأضربت عنه الصفح والضرب بالضرب
سعاد أما والله أنت وطيدة * على الحب لكن طالما الشمل فى الشعب

وأنت على الميثاق ساهرة بلا * رقاد ولكن طالما الشمس فى القطب
اذا كنت ياسعدى كبرت فأنت هل
صغرت ولم يبرح صباك هوى الصب
وان يصدغيك الغضون لدا الصبى * مجار وفى صدغى للكبر والكرب
كأنك بالمرآة همت صبابة * فلم تنظرى فيها سوى الحسن والعجب
لعل ذبول الورد عن وهج الصبى * نشا فيه الورد جلت عن النضب
تعلة من ظن الشباب كنجمة * على القطب مازالت تضئ بلا غرب
وهبك شباب العمر دام فهل فتى * يدوم على عهد الشباب بلا قلب
وهيهات فالاكوان سوف تحل فى
قبور الفنا والارض تحرق كالعشب
فذا مشهد لابد من سدل حجبه * زوال اليد وغيره من ورا الحجب
اذا كان فى باريس كل العلا يرى * ففيه لقنسرين كل العلا نخبى
فكل عمار فيه رمز خرابه * وكل خراب عن عمار له ينبى
وفى حزن بعض الناس للناس فرحة * وفى قومة المربوب منقلب الرب
وان دخول النفس فى الخطب مخرج
لحزم النهى فالحزم يحصل فى الخطب
وللناس أخلاق وعادو أنفس * يطاوعن حكم الاين والحين والحقب
ومن ذلك أيضا
اياك اياك تأويبى وتقريبى * ولازمى لازمى بعدى وتغريبى
وحاولى كل صد عن محادثتى * واستقبلينى بتزوير الاحاجيب
وان حضرت فخطى فى الثرى عوضا * عن القيام بتسليم وترحيب
وان نطقت فقولى فاه ذو حصر * وان رويت فقولى ذوأ كاذيب
وفضلى كل ذى نفس على فلا * أزل منى بين المرد والشيب
والله لولم أكن شر الانام لما * أحببت مثلك يا أدنى المحابيب
قابلت خيرى بشرى والوفا بجفا * كذاك طابقت تعيرى بتخريبى

هيهات يحسب انسانا لديك فتى * يرعى الذمام بقلب غير مقلوب
قد كنت أهواك صافى القلب طيبه * فلم يرقك صفائى لا ولا طيبى
ورحت تهوين نكس القوم باذخة * به وبدلت مقبولا بمشجوب
فان عهدك مقلوبا عليك ومذ * سمعت ذا قلت راح الذيب بالذيب
فسوف تبكى عليك الشامتات كما * على أبكيت عذالى بتعذيبى
وما فترت بسوق الشوق مرخصة * ما كان يغليه انشادى وتشبيبى
حتى جعلت عرين الاسد مكلبة * ومنزل العهر أخدار الرعابيب
لذا غدوت أروم البعد عنك بلا * صبر وقد كنت أرجو كل تقريب
وللفتى طلبات يختلفن على * قدر اختلاف الدواعى والمطاليب
هاتبت عنك وعن كل الهوى أبدا * وأنت عنى وعن كل الهوى تؤبى

* غيره *

يا عاذلون استريحوا فالشجى خلا * ويا وشاة تهنوا فالحب سلا
سلا وبالغ بالسلوان خاطره * حتى جرى فى الملا سلوانه مثلا
سلا وأصبح لا يشكو صروف جوى * ولا سهاد دجى ولا عذاب قلا
نعم سلوت نعم عفت الغرام نعم * فر الولوع نعم كل العنا بطلا
وارتحت من كل مهذار يلح فقد * زال الهوى فازال العذر والعزلا
تلك التى خلبت عهدى وقد جلبت * على ودادى لها ما يصدع الجبلا
حسبت أن وداد اعندها وفا * حتى اختبرت فلا ودهناك ولا
خيانة مزقت صبرى مرارتها * كل الخيانات أضحت بعدها عسلا
بالأمس كنت على قومى أتيه بها * واليوم قد أصبحت عارا على عللا
وكنت أهتر فخرا كلما ذكرت * فصرت ان ذكرت لى انحنى خجلا
لا بدع أن أستحى من ذكر من ولعت * بالقدح بى بعد ما أوسعتها غزلا
فلا رعى الله يوما عد خائنة * قد أشمتت من درى أمرى ومن جهلا
أنا الذى بيدى أوقعت نفسى فى * تلك الفخاخ فان أعتب فذاك على
تعلموا أيها العشاق واتخذوا * أمثولة لم تروا يوما لها مثلا

قضيت كل شبابي في محبة من ❊ مذ شاب فودي راحت تطلب البدلا
ومادرت ان عصر اليأس داهمها ❊ وانها قد غدت بين الملا هملا
قد عوضتني بمن دوني لذاك غدت ❊ دونا فيا ويح من يخط بعد علا
وأنكرت قدر معروفي ومعرفتي ❊ فصار انكارها في قلبها وجلا
كأنما الذوق يأبى أن يقوم على ❊ انني فليت الاناني لا ترى رجلا
لأصبرن على تجديد دولتها ❊ فالدهر من شأنه ان يقلب الدولا
فسوف يضحكني صرف الزمان على ❊ أحوالها وسيبكيها أسى وبلا
كم أضحك الدهر من باك ينوح وكم ❊ أبكى ضحوكا وكم رقى وكم خذلا

❊غيره❊

يليق لذي العجباء ان تتدللا ❊ وفرض عليها أن تتيه على الملا
وحق لها أن لا تكلمني ولا ❊ ترانى ولا تلقى السلاما ولا ولا
وحلم لنا منها اذا عف حكمها ❊ ولم تجعل الاعلى على الارض أسفلا
فمن قدرها أن تكسف الشمس في الضحى
وتخسف وجه البدر في كبد العلا
وتهبط بالسبع الشداد على الثرى ❊ وتقصم شمل الكائنات وتفصلا
وتستوقف الافلاك عن دورانها ❊ وتقلب أبراج السما وتزلزلا
وتهدم أركان الطبيعة كلها ❊ وتجعل تنظيم الوجود مبلبلا
وتقلع أطناب السحاب وتنسف الجبال وتبقى واسع البحر جدولا
وتبطش بالاقدار والخطب والقضا ❊ وتضرب شرع الكون فردا ومجملا
وتجدع بالاذلال أنف الفتى ولو ❊ أناف على الجوزاء شأوا ومنزلا
وتسحق أحكام الزمان برجلها ❊ وتكسر رأس الدهر ان صال واعتلا
لها البدر نعل والسها فص خاتم ❊ وكل الدراري والنجوم لها حلى
فها كل هذا حقها غير منكر ❊ نعم كل هذا حقها ولها ولا
نعم كيف لا وهي التي خانت الوفا ❊ وبالغدر والابرام قابلت الولا
وقد قذفت بالنكس عهدي ومزقت ❊ يمين الهوى عمدا ومدت يد القلا

لذلك قلبي قد سلاها وعافها * وهاهي بعد العز تعنو تذللا
فيا حسرة اسم كان يسند بالثنا * فاصبح حرفا معجم الحكم مهملا

* وقال أيضا *

طرقت خباها بغتة يوم تبكير * فصبحني وجه كرقعة تصوير
هنالك على المرآة كانت مكبة * تموّه خديها بصبغة حنجور
فأيقنت أني في الهوى كنت والعا * بمسحوق تبييض ومحلول تحمير
وكنت أرى أني بمقصورة جو * اذا أنا أهوى راجعا ضمن حابور
مظنة نبل في محقة هجنة * حكت عرف زنبور على وزنبور
ولما رأيت الشيب في فودها نمى * عجبت لصبح لاح في ظل ديجور
وقلت عساها أمسكت أم ضجيعها * حفاها فذا تاج على رأس مهجور
جمال على فرش الهوى مات والشقا * أحال له مسك الغداف لكافور
لك الله من هذا الذي كان طالعا * مع الصبح من مغناك يجري كمذعور
فهل خلف لي ذا على فتن الهوى * نعم فاعشقي يوما خلا خلف شهرور
نهلت أناماء الصبى منك كله * وخلفت للاغيار ماء الحناجير
أنا نحلة الازهار أجنى نفيسها * خليقا وأبقى غثها للزنابير
غدرت وهذا الغدر يح امامه * أنا والهوى طود وريشة عصفور
فما أنا ممن غدر مثلك مضه * وأي كريم في الورى غير مغدور
اذا قلت فالافعال تتلو مقالتي * ولو كنت مطبوعا على كل تقصير
توهم قوم أنهم أسد الشرى * وعند التلاقي أحفلوا كالسنانير
اذا قام شاهين الطيور مشمرا * على ساقه خابت ظنون الزرازير
وان هب نسر الجوّ فيه محوّقا * تفرّق في الاجار جمع العصافير
يحاول ضرب اسمي الحسود ودونه * زحام الليالي واقتحام الاعاصير
تبوّأت بازل الدهر في حومة العدى * فرارا فرارا يا صفوف الفرافير
أنا بينكم لكنني ضعت بينكم * ورب صحيح ضاع بين مكاسير
في وفم الباغي يصحان انما * بأذنه هذا وذلك في بير

قولهم الفافير جمع فرور كعصفور اسم طائر اه قاموس

يحوقل خصمى اذ يرانى وصاحبى * يروح بتهليل على وتكبير
أنا صخرة الوادى اذا ماعاندى * وأعظم خطب للذى رام تحقيرى
على أننى غيث لحاج لذى الوفا * وملح أجاج للخؤن ابن خنزير

وقال أيضا

تشاءمت اذ فى النوم طيفك وافانى * فيا ليت نومى لم يعد بعد سلوانى
حلفت يمينا لا أراك فان أكن * جرحت يمينى فى الكرى فالكرى الجانى
وماذا يريد الطيف منى وانى * سلوت سلوا عنك ليس له ثانى
فلو مثل الماء القراح لأعينى * خيالك لم أشرب ولم أطف نيرانى
سلوتك والدنيا تضج بسلوتى * عليك وأهلى يعجبون وخلانى
فكل له علم بأنى كنت فى * هواك صريعا ضائعا مدنفا فانى
وكنت اذا أنشدت فيك قصيدة * ترامت عليها أنفس الانس والجان
فيا ليت قومى يعلمون الذى جرى * من الغدر والابرام منك لاحسانى
وفيتك حتى خنتنى بخيانة * تحير من فحشائها كل خوّان
فها وجهك المنكود يشهد بالذى * فعلت وها ما بين عينيك عدوانى
على أن ذياك الجمال قد انمحى * ولم يبق من ملح سوى لمح انسان
الام الام العجب اذ لم يعد سوى * شنار وفى المرآة عندك برهانى
قضى حسنك الباغى وجنزه القضا * وأدرجه من ذا المشيب بأكفان
نظيرك دهر ساحر بك غشنى * وحير أصحابى بأمرى وأقرانى
لحى الله أيا ما بوجدك جزتها * فيا ليتنى ما كنت فيها بوجدان

وقال أيضا

ما غريمى فى الحب غير ثباتى * وثبات الحب عين الشتات
ليتنى كنت كالحبيب بلا قلـ * ـب فلا كان منبت الحسرات
لحفاظ الحياة قد خلق القلـ * ـب ولكن قلبى لسلب حياتى
أيها القلب قد قضيت مراما * فالام الولوع بالشهوات
تب عن الحب والعنا وعلى السلوا * نثب وانج يا أخا الوثبات

كيف ياغالبا أسود الردى صر * ت أسير الهوى بعين مهات
عجزت أسيف المصايب عن كسـ * ـرك حتى انكسرت باللحظات
أنت أبكيت أعين الدهر ذى الغد * ر فأنى يبكيك غدر فتات
ذلك الحسن يصرع الاسد السا * طى ويغزو الكمى ذا الغزوات
انما الحر لم يخر حسن ذات * قط مالم يزن بحسن صفات
فسلوا يا قلب ان كنت حرا * عن قبيح الصفات باهى الذات
ذا حبيب عيناه لم تخلقا الا * لرشق الجميع بالنظرات
* كلما شاب لمة شب لؤما * فشباب ناء وشيب آتى
ما عليه فقد هصرت صباه * دانى القطف طيب الثمرات
* ثم غادرته فضالة لون * سرسما فى صحائف الطيبات
ياخليفى فى حبه فاتك العهـ * ـد فوات الحبيب عند الفوات
كن أمينا عليه من رجعتى حر * مة أمن من أحسن الحرمات
فلمثلى الثبات فى كل شوط * ولغيرى التردد فى الرجعات
طائر كان فى يد الشهم نسرا * وبغاثا غدا بأيدى البغاة
هكذا الشاة فى حمى الليث ليث * وبوكر الذباب حيفة شاة
رب ميت كأنه فى حياة * عند حى كأنه فى ممات

وربما كان السلو هجعة رقاد وهدنة جلاد حتى اذا عرض حادث أو زال باعث تيقظ الحب للحال ورجع الى جهاد الجمال مستعطفا برجعته ومستعذرا عن غفلته ويستسمح عما مضى ويستتبع عود الرضا وهكذا يرجع بعد نفاره ويقع بعد فراره وعلى هذا الحال قلت هذا المقال

رجع الحب اليك بعد سلوه * ودنا يروم رضاك بعد عتوه
صب رأى برجوعه كل المنى * وكذا فى كل العلا بدنوه
وغدا وضيع النفس بعد علوها * وهوى على قدميك رغم سموه
والله ما بالغت بالاعراض لو * لم يدع ذلك منك فرط غلوه

واذا غضبت فلم يكن غضبي سوى * ثورات هذا الحب حال نموّه
لم يخل منك وعنك لم يك معرضا * قلبي فان اليك كل حنوه
شجر الحياة وفيه حبك قد جرى * مجرى الحياة فلم أعش بخلوه
لا يألف السلوان صب دأبه * يلفيك في آصاله وغدوه
عوّدت خاطره الضحيح على المدا * بهواك حتى زال كل هدوّه
فاذا ثنته عنك فترة صدقة * وارتد بعد علمت بعد سلوه
فاليك يدنيني الهوى بدنوه * مني ويقصيني الرجا بعلوه
عادى الرجا قلبي وصادقه الهوى * فاحتار بين صديقه وعدوّه

﴿حال البغض﴾

البغض خصم الصلاح وعدوّ الاصطلاح وحليف الفساد وأليف الاضطهاد ومنجل الخير ومحراث الضير فهو الداهية الدهما والبلية العظمى حيثما وجد وجد الشر وأينما تحرك تحرك الضر وهو اما يكون خلقا اما يكون تخلقا فاذا كان خلقا دعى البغض الغريزي ويكون صاحبه باغض الناس في كل لباس فيبغض عموم البشر ويشتهي لهم كل ضرر فلا يصادق صديقا ولا يرافق رفيقا ولا يواخي ولا يخاوي ولا يداني ولا يداوي واذا استعطف نفر واذا استلطف نهر وغمغم وزجر واذا حولف مان واذا عوهد خان واذا وعد أخلف واذا قال أجحف وهكذا فذو البغض يكون من الكل مبغوضا ومن نفسه مرضوضا فيستنزل عليه لعنة الجميع ويستجلب اليه مقت الرفيع والوضيع اذ يصبح هملا مهمولا وسقطا مرذولا ويغدو ذكره عارا واسمه شنارا ينفر منه الجنان وتقشعر الابدان واذا كان البغض تخلقا انما يدعى البغض الاكتسابي وهو يكون نتيجة غيره من الصفات كالكبرياء والحسد والغضب والحقد فالمتكبر يبغض الذوات والحسود يمقت الخيرات والغضوب يبغض الرضوان والحقود يمقت الغفران وقد يكون هذا البغض اثر خلف في دين

النفس وافتراق فى النوع والجنس أو أثر وفاق الاعمال واتفاق
الاشغال فيستنهض أمة على أمة ومملكة على مملكة وبه يردى
الزارع بالزارع ويودى الصانع بالصانع ويفتك التاجر بالتاجر
ويضر الآجر بالآجر وتثور العلماء على العلماء وتهب الشعراء على
الشعراء وهكذا تنهش هناك أنياب المثالب وتنشب مخالب المسالب
وتسعى أفاعى الضغن وتزأر وحوش الفتن فينثل عرش الانتظام
ويتقوّض ركن الانضمام حتى يهبط كل عمار ويتشيد كل دمار فلاريب
أن البغض آفة الكل والبعض

﴿حال الجمال﴾

الجمال هبة الهية ومنحة طبيعية فهو مشهد يلذ الناظر ويروق
الخاطر ويستميل الجنان ويشغل الاذهان ويستفز التحبيب ويستثير
التشبيب فحيثما لاح علقت الخواطر وعشقت النواظر وأجله
ماسلم من الصناعة كليا وكان جمالا طبيعيا فلاينزل التبليج منزلة
البلج ولايقوم التزجيج مقام الزجج ولايحل التكحيل والتدعيج محل
الكحل والدعج ولايظهر التورد مظهر الورد ولايبرز التنهد بروز النهد
وهذه الصفات الباهية تغلب فى البادية

﴿البدوية﴾

سقى الجانب الشرقى من حلب الشهبا
غمام حمى من شهب ذاك الحمى الشهبا
وحيا الحيا تلك الربوع وجادها ❊ فلاوجدت جدبا ولاعدمت خصبا
ولابرحت تلك المروج زبرجدا ❊ ولازال ذاك الندى لؤلؤا رطبا
هناك من الاعراب لى بدوية ❊ غزت بالعيون الترك والعجم والعربا
معاة أبت الا السراح مع المهى ❊ فتوحش من حاب وتؤنس من حبا
لها فى فؤاد الصب مرعى ومرتع ❊ ولو رتعت فى البيد أورعت العشبا

غناها بياض الجيد عن بهجة الحلى
وعن حسن ماء ماء حسن أبى النضبا
فما وردت خدا ولا بيضت طلى * ولا حمرت ثغرا ولا سودت هدبا
ولا جعدت شعرا ولا صقلت يدا * ولا عرضت ردفا ولا ضيقت جنبا
فقد دبج الرحمن ألوان حسنها * وقد نحتت أيديه قامتها العجبا
ترائب ساج تحمل الصبح لا الحلى * وأرساغ عاج تلبس القلب لا القلبا
ونسرين وجه لا يحول بياضه * وان يستحل ورد افذا ان رأت صبا
أضارية فى مهجتى مضرب الهوى * عليك به لا بالفلا فهو لا يسبى
وضاحكة والرفق أنت بمدمعى * فديتك من ضحك ولو زدتنى كربا
وبادية فى طلعة بدوية * يروح لها دمع الحضارة منصبا
فما خضبت منك الخدود وسادة * ولا نظرت مرآتك الصبغ والخضبا
ولا شربت عيناك أدمعها ولا * أبت شفتاك الحمر فى محضر شربا
وما اعتضت عن ردف بقوس وعن ثدى
بحشو ولا أوقعت فى وجهك الكذبا
جمال طبيعى حوى كل بهجة * ولطف بديهى سبى العقل والقلبا
وللجمال سطوة كاسر وهيبة أكاسر وحكم صائل وسودد طائل يذل الكرام ويعز اللئام ويخفض الكبير ويرفع الصغير أينما لاح خطف الابصار وأخذ بالافكار فترتعد لديه الجوارح وتهتز منه الجوانح وتكثر الدموع ويقل الهجوع وأيان تملك كانت فرائضه الآلام وجزيته الأسقام وأوضاعه الوساوس وشرائعه الهواجس فهو ملك ظلوم وبطل هجوم يطلب على الكل السياده ومن الكل العباده ولذلك لا يفتر ثوران القلب عليه ولا ينكف عجيج الخواطر لديه مع أن دولته أقصر من يوم الفرح وزواله أسرع من مرور الشبح فما هو الا عرض مفارق وطيف طارق * سطوة الجمال *
للحسن حكم لا يرد وسودد * يغزو القلوب وما على يده يد

فاذا بدا برق الجمال لذى الهوى * لم يبق فيه سوى فؤاد يرعد
سبحان من خلق الجمال فانه * ملك لديه كل قلب يسجد
كن يا فؤاد على الصبابة ثابتا * فلكم بها من لذة تتجدد
واخضع لاحكام الغرام ولا تطع * حكم العذول فانه لا يحمد
واذا الفتى ماذاق آلام الهوى * لم يدر لذات الهوى اذ توجد
لابد من ألم يضيم ولذة * عرضان بينهما الجواهر تفسد
طعنت فؤادى قامة ودمى به * طرف فذى رمح وذاك مهند
كبدى بنار الحب قد ذابت ولا * عجب فكم فى الحب ذابت أكبد
غلب الغرام علىّ حتى أننى * أبغضت عيشى وهو عيش أرغد
لا أبتغى صبرا على ألم الجوى * فالصبر يسلب همتى ويبدّد
أفريدة الاوصاف رفقا بى اذا * غلب الهوى فأنا المحب المفرد
كم فى الطبيعة من عجائب جمة * لكنّ أعجبها بوجهك يوجد
لك طلعة غراء قد نفت الكرى * عنى فويح نواظر لا ترقد
لا تنكرى فى الحب طول تسهدى * فالبدر يشهد لى به والفرقد
لم يحل غيرك لى فهيا تأمرى * أفعل فانى بالهوى مستعبد
انى سجدت لشمس حسنك فاسجدى * بتقى لنار هوى بقلبى توقد
فانا اله العشق حيث مولعا * بك يا اله الحسن وهو الامجد
لك فى الهوى قلب كقلبى واحد * وعلمه يوم الشمول عندك تشهد
قلبان منا يخفقان على اللقا * والشوق بينهما يقوم ويقعد
فخفوق قلبى مكمد ومصفر * وخفوق قلبك مبهج ومورّد

ومن ذلك

ملكت فؤادى ربة الحسن البديع * والحسن سلطان يصول على الجميع
تلك التى اعراضها أبدى الخفا * منى بدمعى وهو ضمن خبا منيع
عذراء عوّدها النفار تدللا * أبدا وعوّدنى مداومة الخضوع
واذا الفتى هوى الملاح تهذبت * أخلاقه وغدا أخا طبع وديع

واليوم انى قد هويت بديعة * فاقت محاسنها على القمر الرفيع
غرس الجمال بخدها ورد الصبا * وأحل فوق جبينها ورد الربيع
ياعاذلى ذرعنك لومى انى * قد ضقت ذرعا بالمحبة والولوع
حتام أنت تلومنى بهوى التى * لعيونها ضعفت قوى الاسد الشجيع
يامن أشعة حسنها اندفعت الى * عقلى وكان القلب زاوية الوقوع
لاتحجبى أنوار ذاك الجيد عن * عينى فكم حلته من درر الدموع
بالله ماهذى القساوة والقلا * شردت صبرى والهوى ملء الضلوع
لاتسمعى من الوشاة فكم وشوا * بك ياضياعينى ولم ألك بالسميع
ذو الحب لاتثنيه عن محبوبه * واش ولاعذل أتاه من الجميع
فبحق قتلك بالصدود أخا الهوى * عن أى شئ جئت بالهجر المريع
هل عن دلال أم ملال أم قلا * أم رمت تجربة لعبدك ذى الخضوع
أو تجعلين الهجر تجربة لمن * يقضى به حاشاك من هذا الصنيع
لاتحسبى انى سلوتك منيتى * كيف السلو ومالجفنى من هجوع
قسما بنهدك والترائب والملا * لم أسل طلعة ذلك الوجه البديع
فكفاك ذا الهجران للصب الذى * غادرته بهواك ملقى كالصريع
من بالهوى خلع الحياء وعافه * خلع الحيا فى وقته شان الخليع
جودى على هذا القتيل بنظرة * يحيا بها من ذلك الوجه المليع
لما رأت ذلى لها وتخشعى * ضحكت وقالت ماوراهذا الخشوع
ان كنت تصدق بالمحبة يافتى * فاصبر على هجر الحبيبة بالقنوع
فعساك تحظى بالوصال وربما * قلبى الرفيع يرق للصب الوضيع
ذو العقل لايك مسرعا بمسيره * فى كل شوط ياأخا القدم السريع
والشمس فى راد الضحى تمشى على * مهل وتسرع فى المغيب وفى الطلوع
فأجبتها والله انى صادق * بالحب مالى عن وداد ك من رجوع
ان الهوى مثل الهواء زحامه * من كل ناحية بقلبى والضلوع
ولايحسن جمال الذات على قبح الصفات على أن جمال المخبر قبل

جمال المنظر وحسن الطباع قبل حسن الرقاع فلا يروق الناظر بياض المحيا اذا ساءه سواد العمل ويضحك بياض السجايا على سواد الكحل وهل يطيب ورد الوجنات على شوك الحركات وجودة الاسنان على خبث اللسان وفصاحة الالحاظ على ركاكة الالفاظ وحسن المباني على سوء المعاني فلا جمال قبل الكمال ولا أقوال قبل الاعمال

دع رونق الخلق وانظر رونق الخلق * حسن بلا أدب زهر بلا عبق
واعشق بياض المزايا والصفات ولا * تعشق سواد الشعر والحدق
فهل يروقك ثوب لاق منظره * يوما اذا كان مصنوعا من الورق
اليك عني جميلا لا جميل له * ان روح العين أبقى القلب في قلق
هيهات ينطق قلبي بالغرام على * حسن أصم بلا حس ولا نطق
اذا اقتصرنا على عشق الجمال فكم * لفينس صنم مستوجب العشق
والخمر للعين تحلو منظرا واذا * لم تحل فعلا فللتهويع والحرق
وكم قد وبدت كالنحل في سعة * وضيقة وهي عظم قام في خرق
هيا كل من عظام لا حوم لها * تلحمت بجلابيب ولم تطق

حال الحياة

الحياة مصدر يشتق منه نظام الاكوان الطبيعية وأصل تنبعث منه حركات الكائنات العضوية اذ به تحفظ الجامدات نوامسها وشرائعها وتحرس الناميات أشخاصها وطبائعها فهو التثاقل والتبادل للاجرام السماوية والنمو والتغذية للاكوان الارضية والحس والانتقال للخلائق الحيوانية والاشعار والادراك للطبيعة الانسانية فبالحياة يدخل المتحرك في العلاقة مع المحيطات الاجنبية ويستبضعها اغراضه الحيوية فبقدر الادراك تتسع الشقة وبمقدار الاشعار تعظم المشقة ولما كان الانسان جامعا كل الادراك والاشعار كان أعظم حامل لاثقال تلك الآثار وهكذا تكون حياته حية عليه ووجوده عدما لديه

حتى اذا ما بلغ حدّ الانصرام رأى ذاته خيال امرء في ضغث الاحلام على فراش الاوهام أما بناء حياة الانسان انما يتوقف على أربعة أركان وهي العمل والملل والصحبة والامل

العمل

كل يعمل لحث راحلته ولكل عمل على شاكلته فلما انتقل الانسان من الوحشية الى الانسية ومن الطبيعية الى الادبية أثبت له ذلك الانتقال وجوب الاعمال وناداه الجماعة حيّ على التعامل فمن لا يؤثر أن يعمل لا يأكل فاندفع كل الى الخبط في مهنته والغوص في حرفته فذهب يعارك الجامدات كل كثيف ويباشر الصنائع كل خفيف ويمارس العلاقات كل عليل منقطع ويتاجر بالبضائع كل كليل مبتدع ويستقصي الموجودات كل دقيق مخترع وهذا قد انخرط الجميع في سلك الارتباط وغرق الكل في لجج الاختباط فكل طائر على أجنحة الطيش ليقطع آفاق العيش فترى البعض يشكو الكلال والبعض يندب الملل وهذا يتوجع في التعب وذاك يتفجع من الوصب فأعين تبكي من العسر وأفواه تضحك من اليسر والزارعون يتململون بشح الجدب وعليه يأتمرون أو يتجهمون بسح الخصب فيغتبطون به ويتطوبون والصانعون يستنظرون الطلب فيحمدون الشبع أو يذمون السغب والتاجرون يحشرون البضائع ويرقبون الطلائع ويعومون في السوق ويغرقون في الصندوق ويرصدون أفلاك الدوائر ويرتصدون طوالع الدفاتر فكم أخطأت استهم الحفرة ولم يصب سهمهم الثغرة

الملل

وبينا يكون الانسان لاهيا عن نفسه باعماله ومشتغلا عن رمسه باشغاله يداهمه شيطان الملل ويوسوس في صدره عند كل عمل وربما يغلب عليه هذا الروح حتى يغدو نديمه في الغبوق وفي الصبوح وسميره

في الهجر والوصال ورفيقه في الحل والترحال فاينما رحل رمح أمامه وأيان حل كان خيامه وحيثما لفت وقف قدامه وهكذا يكون الملل ألما في الملذات وغما في المسرات وترحا في الافراح وفرحا في الاتراح فهو حادي الاجل وشادي الوجل وابن الاعمال وأبو الآمال

﴿الأمل﴾

واذ يكون الانسان ساقطا تحت ثقل الملل وهابطا في وهدة الوجل تبسط له الآمال يد الخلاص وتلقي له الاوهام حبال المناص فيضجع على سرير الاحلام ويضرب في وادي الاوهام فيصعد بفكره من غرفة الى غرفة وينتقل من حرفة الى حرفة ثم يرتقي من صغرى الى كبرى ومن نتيجة الى أخرى حتى يبلغ من غناء الى غناء ومن سناء الى سناء ولم يزل الى أن يرى ذاته مالكا كل الاشيا وسلطان كافة الدنيا وبينما يكون طائر فكره حائما في تلك الزوره ومفردا بهاتيك الثروه اذ ينقض عليه باشق البطلان ويرجع به الى حيث كان فيغيب عنه كل خيال وينغلق دونه مرسح الآمال فكلما ذهب أمل جاء أمل وكلما غنت خيبة رقص وجل وعز الدهر وجل وبالآمال يعيش الانسان وبالاوهام تحيى الاذهان ولكل سن مأمولات وعلى كل مأمول مقولات أما الامل فهو تسلية الانسان وتعزيته في الاحزان والحدثان وحلاوته عند الزعاق وغناه يوم الاملاق ويسره في العسر وكسبه في الخسر وسميره وأنيسه ونديمه وجليسه ولا تفرط سلسلة الأمل الا في بيت الازل

﴿الصحبة﴾

لما كان ليس بحسن أن يعيش الانسان وحده اتخذ له امرأة تكون عونه ورفده فيخدمها في العمال ويستخدمها في البعال فالمرأة خير الاصحاب وأطيب الاحباب ولا تطيب الحياة الا بها ولا يصحب سرور الا باصطحابها وهي الشريكة في تقويم الحياة الطبيعية والرفيقة

فى تثبيت الحياة الادبية فاذا كانت صالحة كانت فخرة لاهلها ونعمة لبعلها وأساسا لدارها ومركز المدارها وتهذيبا لذويها وتأديبا لبنيها وغنى فى الاقلال وراحة فى البلبال وستر اللطالحات وكشفا للصالحات واذا كانت شريرة انما تكون ذلا لاهلها ونقمة لرجلها وزلزلة لدارها وزعزعا لمدارها وشكالذويها وعثرة لبنيها وفقرا فى الغنى وغما فى الهنا وفضيحة للمعائب وغيمة ومثالب وهذرا ومذرا وغمزا وشزرا وانتقالا من وحلة الى طمس ومن رذيلة الى دنس فهى تناجى بارمازا لميل وتحاجى بالغاز الليل حتى اذا ماجاشت فاجهشت وبشت فهشت رجعت مخادعة بلحظ يغزل رموزا ومخادنة بقلب يحيك نشوزا فخفوض ينصب شراكا ومقصور يمد شباكا فتكون شر الاصحاب وأخبث الاحباب الا اللباغى والطارق واللاغى والمارق ومن شأن الانسان الميل الى الاصحاب والولوع بالاصطحاب ليتأسى فى الشدة ويستأنس فى الوحدة على انه لا يستطيع اللبوث على الانفراد والقرار فى الامور الشداد

فمن الاصحاب الصاحب الوفى وهذا يكاد أن لا يوجد لشدة ندارته فهو الموافى فى الشدائد والموالى فى العوائد والمقترب فى الابتعاد والمصلح فى الفساد والصافح فى الذنوب والسامح فى العيوب والمسعف لدى الاقتضاء والمعين فى روع القضاء والثابت على كل اضطراب والراسخ فى كل انقلاب ومنهم الصاحب الغرضى وهو من يصحب لغرض متى بطل بطلت صحبته وربما انقلب الى عدو مبين وداء دفين فيرتد على صاحبه بالاضرار وباذاعة الاسرار ليهتك كل ستر مسدول ويمزق كل حجاب مسبول فيثلب وينم ويقدح ويذم حتى يكون فمه مملوأ مرارة ولعنه وقلبه يتقلب على ضغينة ونقمه فحذار حذار وبدار بدار

وقد قيل

عدوك من صديقك مستفاد * فلا تستكثرن من الصحاب

فان الداء أكثر ماتراه * يكون من الطعام أو الشراب
وربما أعقبت ألفة زوال أغراض وقام جوهر عقب أعراض فيتلو ذلك صحبة جديدة وتنشأ صداقة جديدة الى أن ينقلب القلب العديم الثبات ويغفل الود الكثير السبات ومن أصحاب الاغراض يوجد الملق والراهن والمطرى والملاسن والناصح بالاباطيل والهادى بالاضاليل والساعى بالخير على قدم الشر والمهم بالنفع على هم الضر ومنهم الصاحب البسيط وهو من لا يفى ولا يخون ولا يهتك ولا يصون ولا يحب ولا يبغض ولا يقبل ولا يرفض فلا يتقاعس ولا يحفل ولا ينشط ولا يكسل و يتوجه حسب البواعث و يتحادث طبق الحوادث فلا تهمه حضرة ولا معاينة ولا تمضه غيبة ولا مباينه فهو يصلح للمنادمة والمجالسه والمفاكهة والمؤانسه على انه نعم نديم مسامر وخير جليس محاضر

فهاك حياة الانسان وما فيها من الاركان هذا عدا ما يتخللها من العاهات والاسقام والهموم والآلام على ان الحياة هى عرضة المصائب والبلايا وغرض المتاعب والرزايا حتى يكاد أن يكون وجود اللذة فى عدم الألم وحصول النعم فى زوال النقم وربما كان أعظم اللذات طليعة لهجوم الحسرات ونذيرا يهتف بالمضرات

* غرور الحياة *

أهذى حياتى بئس عمرى وأيامى * عذاب هموم فى عذوبة أوهام
وما هى لذات الحياة وكلها * بكور خطوب أو أصائل أسقام
يروم الفتى نيل الرجا كلما ارتجى * وطالب معدوم كطالب اعدام
سريع وقوع ظن أن مطيره * يدوم فغنى كالسهام من الرامى
فما هو الا الخلد يبصر عندما * يموت وفى ريع الحياة هو العامى
أرى الناس فى الآمال غرقى وكلهم
سيمضون أشباحا بأضغاث أحلام

فما هذه الدنيا الدى عين خبرتى * سوى مرسح والكل يلعب قدّامى
نعم مرسح لكن وراء ستاره * تساق البرايا للفنا سوق أغنام
عناصر فى دور الوجود تسلسلت * فتخلق من جسم لتركيب أجسام
هو الموت يلوى فاه كى يمضغ الملا * وفى جوفه لم ينهضم غير أعوام
تسير بنا الايام وهى تضلنا * مسير لميع الآل بالتائه الظامى
فما خلق الانسان الا جعله * على هذه الدنيا ملاعب أحكام
فتخرجه الدنيا ليسعى لها بها * خروج بخار السفن من بحره الطامى
ومهما أذاع المرء ضوضاء نفسه * فما ذاك الا رعدة بين آكام
وليس يعيش المرء الا لغيره * ولا يجهدن القوم الا لأقوام
يذب الفتى عماله بيد أنه * يذوب مداساتحت أرجل أيام
وتحمى من اللثم المليحة وجنة * سيأكلها فى حفرة دوداعدام
تخالفت الاطوار بين الملا على * طريق البلا والكل يجرى بالهام
فذاك أخو بؤس وذا ذو هنا كذا * هنالك صفا عرس ونوح هنا دامى
فيا خطة خطت على كل خاطر * سطور ملذات باقلام آلام
ويا لمتة قد طيشت كل ذى نهى * وهبت بأذهان وطارت بأفهام
عقول حيارى فى الوجود وأعين * سهارى وأرواح سكارى بلاجام
نصبر ابنى حوّاء صبرا وانتى * أقول لكم صبرا ولا صبر قدّامى
حياتكم موت زؤم وموتكم * حياة وما أعمالكم غير آثام
وما حظكم فى الارض غير العنا وما * حقائقكم الا عوارض أوهام
صحبت بنى الدنيا فلم أر عندهم * سوى نفق ساعات على جمع أرقام
وفى صحبة الارواح مدرسة يرى * جهولا سوى فهامها كل فهام

حال الموت

الموت خاتمة كل الاحوال ونهاية الاعمال والآمال فلم تزل الفواعل الطبيعية تصادم محال الحركة العضوية ولم تبرح الاكوان الخارجية تعارض مجرى الاعمال الحيوية حتى ينقطع الواصل ويتفرّغ الحاصل

قوله رؤم فى القاموس رأم كمنع رأما ورؤوما ان وحما اه

اذ يكون الظاهر عاث بالباطن وعبث الراحل بالواطن فينحط الركن العضوى وينذك الوطد الحيوى حتى اذا ما تغلب التحليل على التمثيل وترجح التفصيل على التوصيل بطلت عوامل الاحساس وهبطت صواعد الانفاس وسكنت ضجات الافكار وسكنت حركات الابصار ولم يعد فى الذهن تمثال ولا فى اللسان مقال اذ يرقع العدم محيا الوجود ويطفئ الخمود أعين الوقود ويضرب السكون هام الحراك ويصفع السدر قزال الادراك وهكذا تستولى ظلمات الحتوف وتخدع شوامخ الانوف فلا سيف هنالك ولا نجاب ولا تهنس ولا اعجاب حيثما يبتلع الكل فم القبر الفاغر ويهضم الجميع جوف التراب الداغر فهنالك تخذل الرؤس المترقية وتغفر الوجوه المتنقية وتغور العظمات وتمور الكرامات ويتمزق السرفيم والارجوان وينكسر كل قضيب وصولجان وتتساقط الاكاليل والتيجان فترى الارامس تنطبق على القصور والسرادق تنطوى فى القبور والتابوت يحمل المعركات والدركات تعلو على الدرجات هنالك تسكت ضوضاء النفوس وتخرس رنات الكؤس وينتثر عقد الاعمال وتنفرط سلسلة الآمال وترد جوامح الجوانح وتصدّ طوامح الجوارح هنالك يروى الجمود عن الهيبة وتضحك على الشهود أفواه الغيبة وتبكى على المطامع عيون الخيبة * هنالك يقبح منظر الجمال وينقص كل كمال فيسيل على ورد الخدود كافور المنون ويأخذ سكون الموت بحركات العيون وينشمر الاقنى وينشدق الالمى ويكفهر الاسنى حتى يعود اللطيف كثيفا والظريف مخيفا والانيس وحشيا والجليس سئيا والمعشوق مهجورا والصديق مغدورا هنالك تسلو العشاق وينفر المشتاق ويتقاعس الطالب ويقشعر الراغب ويسبك الكل فى قالب النسيان ولا يعود يذكر الانسان وهكذا يسترجع الجماد الى حوزته ما استعاره الحيوان فى عوزته

﴿خاتمة الكتاب فى الحقيقة﴾

الحقيقة معلوم وجودى أو تصديق تصورى وكل حقيقة لابد من كونها اما أوّلية أو قضية فالاولية هى حكم لايحتمل الرد والقضية هى حكم يحتمل القبول أو الرد فاذا قلنا القمر جرم انما يكون ذلك أوّلية لعدم احتماله الرد واذا قلنا القمر مسكون انما يكون ذلك قضية لاحتماله الرد اذ لايوجد حجة قاطعة والحقيقة تنقسم الى طبيعية وأدبية أما الحقيقة الطبيعية فهى أمر ثابت الوجود فى نفس الطبيعة أو متجدد بين حوادثها كثبوت وجود الشمس وتجدد حصول الفصول أما الحقيقة الادبية فهى أمر وهمى يؤخذ على التصورات العقلية وحوادثها أو عن شرائع النظام البشرى كحقيقة نفع العلم وضرر الجهل ﴿ والحقيقة الطبيعية تنقسم الى أصلية وفرعية وفاعلية وانفعالية ولازمة ومتعدية وذاتية ونسبية وآلية وعضوية وجوهرية وعرضية والحقيقة الادبية تنقسم الى وجودية وعدمية وأصلية وفرعية وحقيقية ومجازية

﴿فى الحقيقة الطبيعية الاصلية﴾

ان الحقيقة الطبيعية الاصلية هى معلوم يستمد حكمه من أصله الطبيعى وذلك كما اذا قلنا المغناطيس يجذب الحديد والهواء يحمل الصوت والعصب آلة الحس فان جذب المغناطيس للحديد وحمل الهواء للصوت والعصب للحس هى حقائق طبيعية أصلية لعدم استمداد أحكامها من غيرها فتأمل

﴿فى الحقيقة الطبيعية الفرعية﴾

ان هذه الحقيقة هى عكس المتقدمة لكون حكمها مستمدا من غيرها أى من حقيقة أصلية وذلك كما اذا قيل لاتميل الابرة الا الى الجنوب ولاصوت فى عدم الهواء واذا انفلج عضو بطل حسه فان هذه الحقائق تدعى فرعية لكون أحكامها مستمدة أو متفرعة من الحقائق الاصلية

المتقدّمة وهى وجود كثرة المغناطيس فى القطب الجنوبى وكون الهواء يحمل الصوت والعصب آلة الحس فتبصر

❊فى الحقيقة الطبيعية الفاعلية❊

الحقيقة الطبيعية الفاعلية هى معلوم متى ذكر أحدث فى الذهن صورة معلوم طبيعى آخر لوجود علاقة فعلية بينهما كما اذا قيل الحرارة تذيب أو الخمرة تفرّح فان ذلك يستوجد فى الذهن حصول صورة جسم يذوب ونفس تفرح على ان الاذابة والتفريح أفعال تستوجب لها مفعولات يدركها الفهم من طبيعة الفعل نفسه وقس على ذلك

❊فى الحقيقة الطبيعية الانفعالية❊

ان هذه الحقيقة هى عكس المتقدّمة لانها معلوم متى ذكر أقام فى الذهن صورة حقيقية فاعلية لوجود تلك العلاقة الفعلية نفسها وذلك كما اذا قيل الارض مستنيرة فان ذلك يحدث فى الذهن صورة الجرم المنير لها وهكذا فى قولك الثمر مأكول والزهر مشموم ونحو ذلك

❊فى الحقيقة الطبيعية اللازمة❊

ان هذه الحقيقة الطبيعية اللازمة هى معلوم يستقر حكمه فى نفسه بدون أن يتعدى الى غيره لانقطاعه عن كل صلة أجنبية كقولك جبل عال ووادعميق وماء جار وصخر جامد فكل ذلك حقائق طبيعية لازمة لايدخل فى قيامها أشياء أخر وأحكامها مستقرة فيها

❊فى الحقيقة الطبيعية المتعدية❊

ان الحقيقة الطبيعية المتعدية هى معلوم يدخل فى حكمه أمور أجنبية عنه بحيث لايمكن قيامه بدون اتصاله الى غيره وذلك اما بأداة أو بغير أداة فالحقيقة المتعدية باداة هى كقولك السحاب مخيم والنهر حائل والجذب وسيط فان تخييم السحاب يستوجب أشياء يقوم عليها ويتم باداة الاستعلاء وهكذا النهر الحائل يقتضى موضوعات يحول بينها ويتم بأداة الفصل وكون الجذب وسيطا يلزم كونه واسطة لجمع الاجسام المتفرقة

ويتم ذلك باداة ذهنية وهى الربط أو الضم وعلى ذلك تعرف كل حقيقة متعدية بالأداة وما يتعدى بغير أداة أى رأساهو كقولك سم قاتل فان القتل يتوجه من الفاعل الى المفعول رأسا بغير واسطة فتأمل

✻ فى الحقيقة الطبيعية الذاتية ✻

ان الحقيقة الطبيعية الذاتية هى معلوم يؤخذ حكمه من ذاته لا بالنسبة الى غيره كما اذا قيل الارض كروية فان الحكم بكروية الارض قد أخذ من ذات شكلها من دون وجود أدنى نسبة

✻ فى الحقيقة الطبيعية النسبية ✻

ان هذه الحقيقة هى عكس المتقدمة لانها معلوم يؤخذ حكمه بالنسبة الى غيره وذلك كقولك أشرقت الشمس وغربت فان شروق الشمس أو غروبها انما يتم بالنسبة الى حركة الارض على محورها بحيث لولا هذه الحركة لما حدث شروق ولا غروب لكون الشمس تعتبر ثابتة على مركز دائرة البروج وما يدور من الشرق الى الغرب الا الارض على محورها ولذلك فالمسير اليومى للشمس انما هو حقيقة طبيعية نسبية وقس على ذلك

✻ فى الحقيقة الطبيعية الآلية ✻

الحقيقة الطبيعية الآلية هى كل معلوم يحتوى فى طبيعته عمل الآلات الصناعية وهذه الحقيقة تقوم اما بالاسناد أو باضافة السبب الى مسببه أو بنعته به أو بغير وجوه كالوقيل الكهرباء ممزقة أو زلزلة كهرباء أو تكسير كهربائى فلما كانت الكهرباء تحوى فى طبيعتها هذه الاعمال الآلية وهى التمزيق والزلزال والتكسير كان كل من تلك الامثال حقيقة طبيعية آلية

✻ فى الحقيقة الطبيعية العضوية ✻

ان هذه الحقيقة هى كل معلوم يؤخذ من حصول مؤثرات وتأثيرات بين الطبائع العضوية وذلك كما اذا قيل الخمر مهيج والافيون مسكن

والنور منبه فان كل ذلك تراه حقائق طبيعية عضوية مأخوذة مما نشاهد من تأثير طبيعة الخمر على طبيعة الاعضاء بالتهيج وهكذا الافيون والنور بالتسكين والتنبيه وعلى ذلك تجرى كل حقيقة طبيعية عضوية اما بالاسناد كقولك الخمر مهيج أو بالاضافة كقولك تسكين الافيون أو بالوصفية كقولك تنبيه نورانى أو بغير وجوه

✻ فى الحقيقة الطبيعية الجوهرية ✻

ان الحقيقة الطبيعية الجوهرية هى كل شئ يقوم فى ذاته بدون أن يكون عارضا عن غيره وذلك كما اذا قيل هذا ذهب فان الذهب جوهر قائم فى ذاته غير عارض عن شئ آخر وهكذا فى قولك انسان وحيوان وشجر ونحو ذلك

✻ فى الحقيقة الطبيعية العرضية ✻

ان هذه الحقيقة هى كل أمر يعرض عن غيره ولا يكون موجودا بذاته فيكون عكس المتقدم وذلك كالثقل والبرودة والظلمة فان الثقل ليس له وجود ذاتى فى الطبيعة بل هو أمر يعرض عن جاذبية الارض للاجسام التى على سطحها وهكذا البرودة والظلمة فالاولى تعرض عن ذهاب الحرارة والثانية عن ذهاب النور ولذلك فالثقل والبرودة والظلمة هى حقائق طبيعية عرضية

✻ كلام على ماتقدم ✻

لما كان مدار الحقائق الطبيعية يقوم على المعلومات الوجودية الخاضعة للادراك الحسى والعقلى كانت منزلتها أعلى من منزلة الحقائق الادبية التى لا تدور الا على التصديقات التصورية الخاضعة لاحكام العقل الهفوى وأوهامه بدون علاقة مع أحكام الحس المعصوم وهكذا فالحقائق الطبيعية تشتمل على الصحة والقبول بديهيا غير محتملة ماتحتمله الحقائق الادبية من النضال والجدال والقبول والرد فلا يسع العين انكار وجود النور ولا تحتمل الاذن جدر نين الاصوات ولا

يمكن الشم رفض وجود الروائح ولا يطيق الذوق نفي الطعم ولا يستطيع اللمس جهل الملموسات ولذلك فأصحاب الحقائق الطبيعية لا يختلفون في أحكامهم الا عرضيا لانهم لا يأخذون أحكامهم الا من طبيعة المحكومات الراهنة ولا يقبلون حقيقة ما لم تقم لهم الحجة على صحتها من نفس طبيعتها ولا يبنون براهينهم الا على المشاهدة والعيان فتكون كل قضاياهم أوليات أساسية بحيث لا يحفلون أصلا بما تحتفل به تصورات العقل وتبتدعه أغراض الاوهام

ويدخل في مبحث الحقيقة الطبيعية كل الحقائق الحسابية والهندسية والمنطقية والفوق الطبيعية لثبوت أصولها ورسوخ قواعدها وصدق نتائجها المطردة فانه يستحيل أن لا يصدق قولنا ثلاثة في ثلاثة تسعة وقولنا حاصل ضرب فيه متساويان في خارج قسمتها عليه ومتناسبان وقولنا حاصل ركني الوسط يعادل حاصل ركني الطرف في النسبة الاربعية الاركان وقولنا في الهندسة منفرجة وحادة تعدلان قائمتين والمنحني يصنع قوس دائرة والاقطار المارة من المحيط في المركز هي متساوية ومن كل ضلع معلوم وزاوية معلومة يخرج مجهول وقولنا في المنطقية المتناقضان لا يجتمعان ولا يرتفعان وفي الفوق الطبيعية الله موجود والنفس بسيطة وكل الحقائق الدينية المدرجة في الوحي الصادق والمسندة اليه فكل هذه الحقائق لها أن تدخل في مقام الحقائق الطبيعية لاشتراكها معها في الثبوت والرسوخ والصدق

❊ في الحقيقة الادبية الوجودية ❊

ان الحقيقة الادبية الوجودية هي تصديق تصوري يستنتجه العقل من تصورات يستفيدها من الحوادث المخبورة والمسموعة وذلك كحقيقة نفع العلم وضرر الجهل فان تصور العلم المستفاد من الخبرة أو السماع وتصور النفع المستفاد منها أيضا يطبعان في الذهن تصور علاقة أدبية تضم النفع الى العلم ضم المعلول الى العلة وهكذا يحكم العقل بكون العلم نافعا

ويكون حكمه هذا حقيقة وجودية أدبية فقولنا حقيقة انما هو لكون نفع العلم صحيحا وقولنا وجودية انما هو لكون هذا النفع موجودا وقولنا أدبية انما هو لكون هذه الحقيقة قد تولدت تصوراتها تولدا وهميا غير مشتمل على تماثيل حسية نظير الحقائق الطبيعية

﴿في الحقيقة الادبية العدمية﴾

ان حصول هذه الحقيقة هو عين حصول الحقيقة المتقدمة ولكنها تختلف من جهة كونها مأخوذة عن حوادث كاذبة غير حقيقية وذلك كحقيقة ظلم الدهر واصابة العين والارتباط ما بين أعمال الانسان وحركة الفلك وزوس اليونانيين وأبوهول المصريين وبرهمة الهند وماشا كل ذلك فان كل هذا كان يعتبر عند أهله كحقائق وجودية صحيحة مع انه عدمي لا أصل له فان الدهر كلمة لا يوجد لها معنى لعدم دلالتها على شئ وجودي لان الدهر ليس شيئا وهكذا ظلمه وكل الحوادث التي ينسبها الناس اليه انما هم خليقون باستحداثها فلا دهر الا أعمالهم وشرائع هيئتهم وهكذا في اصابة العين وهلم جرا فان العين موضوعة للبصر لا للاصابة والفلك للازمنة والاوقات لا للسعد والنحس وزوس وأبو الهول وبرهمة الهند لا وجود لها وربما كانوا بشرا تألهوا على بشر

﴿في الحقيقة الادبية الاصلية﴾

ان مدار هذه الحقيقة يتوقف على مبادئ وأوضاع تنشأ عن احكام الاتفاق أو صواب العقل وذلك كقولك في الوضعيات الكل أعظم من جزئه ومساوي المساوي مساوي وكقولنا في الادبيات كل لسان بانسان وكل حال تزول فالمثلان المتقدمان هما حقيقتان مأخوذتان عن صواب العقل وأصليتان لكونهما منشأ حقائق فرعية كثيرة والمثلان المتأخران هما حقيقتان مأخوذتان عن احكام الاتفاق وأصليتان لكونهما مقياس عدد وافر من الحقائق الادبية وقس على ذلك

﴿فى الحقيقة الادبية الفرعية﴾

ان هذه الحقيقة تأخذ صدورها من الحقيقة المتقدمة لانها تتفرع عنها وذلك كقولنا النهر جزء من البحر فالبحر أعظم منه والحيوان كلى للانسان فهو أعظم منه وزيد مساو لعمرو وعمرو مساو لبكر فزيد مساو لبكر وفلان يتكلم بلسانين فهو يعدل انسانين وحال زيد فى نعيم أو فى شقاء وهى تزول فان كل ذلك يدعى حقائق أدبية فرعية لانه قد تفرع عن الحقائق الاصلية المتقدم ايرادها

﴿فى الحقيقة الادبية الحقيقية﴾

ان الحقيقة الادبية الحقيقية هى التى يعبر عنها بالاسناد الوضعى الحقيقى وذلك كما اذا قلنا الصدق ثابت والكذب زائل والقدح شر والمدح خير وزيد شجاع وعمرو جبان فجميع هذه الامثال هى حقائق أدبية حقيقية اذ عبر عنها بكلام وضعى لمعانيها لان اسناد الثبوت الى الصدق هو اسناد حقيقى وهكذا الزوال الى الكذب والشر الى القدح والخير الى المدح والشجاعة الى زيد والجبانة الى عمرو وقس على ذلك

﴿فى الحقيقة الادبية المجازية﴾

ان هذه الحقيقة هى عكس المتقدمة لانها تقوم بالاسناد المجازى أى بكلام غير موضوع لمعناه وذلك كما اذا قيل الصدق غالب والكذب هارب والقدح جلاد والمدح صديق وزيد أسد وعمرو أرنب فان كل ذلك يدعى حقائق مجازية لاشتمالها على الاسناد المجازى بوجود وجه معنوى بين ركنى الكلام كالوجه الموجود بين الصدق والغلب وهو القوة والوجه الموجود بين الكذب والهرب وهو الضعف وهكذا فتأمل الصيت بين القدح والجلاد والموالاة بين المدح والصديق وكذلك حصول وجه الاستعارة المجازية بين زيد والاسد وهو الشجاعة وبين عمرو والارنب وهو الجبانة وعلى ذلك تجرى كل حقيقة تتضمن مجازا اسناديا أو استعاريا أو مرسلا فتأمل ويدخل فى هذه الحقيقة كثير من

الحقائق التى تكون طبيعية لفظا وأدبية معنى أوطبيعية المادة وأدبية الصورة وذلك كقولى من قصيدة مطلعها

دارت على من الصفاح كؤوس ❊ وبدت لدى من الرماح شموس
بابى كؤوس هوى تطوف بها على ❊ قلبى شموس دمى لهن نفوس

❊ الى أن أقول ❊

قسى فؤادك ما استطعت فان لى ❊ سحرا يقود زمامه ويسوس
هذا فؤاد من حديد بارد ❊ أبدا وذاك السحر مغناطيس

فهنا ترى فى البيت الاخير حقيقة كل ألفاظها طبيعية محضا وأدبية معنى لان المراد هو معصية الميل المعبر عنها بفؤاد من حديد والاستعطاف المعبر عنه بسحر من مغناطيس أى حسن البيان والوجه فى هذه الحقيقة هو الشبه الحاصل بين الحديد والقساوة وبين المغناطيس وحسن البيان على انه كما ان المغناطيس يجذب الحديد هكذا حسن البيان فى التكلم يجذب الخواطر القاسية

❊ كلام على ما تقدم ❊

انه لما كانت الحقائق الادبية مشيدة على التصورات والاوهام أوعلى الصواب والاستحسان أوعلى الحوادث الاجتماعية والمبادى العرفية كان حوقها خاضعا لاحكام العقل عليها وتصرف الزمان بها ولذلك كان أغلبها يتقلب حسب تقلب أهواء البشر وتغير حسب تغير الظروف وينتقل تبعا لتنقل الازمنة والاجيال وهكذا فاننا نرى كثيرا من الحقائق الادبية التى كانت تعتبر قديما كحقائق صحيحة راهنة صارت تعتبر اليوم كخرافات وأراجيف وكذلك يوجد من هذه الحقائق ما يختلف اعتباره بين البشر اختلاف أجناسهم ونواميسهم وأذواقهم ومن هذه الحقائق ما يختلف مقامه اختلاف عقول الافراد بأحكامها فما يراه الافرنج صحيحا يراه العرب عليلا وما يراه الفرس صادقا يراه الغول باطلا وما يحكم عليه زيد بكونه صوابا يحكم عليه عمرو بكونه

خطأ وهكذا فاننا نرى عددا وافرا من هذه الحقائق الادبية قد صار سببا لكثير من الحروب بين البشر والفتن والقلاقل والبلابل والاضطهادات حتى لكثير من الانقلابات والدثار والدمار وطالما نرى بين أصحاب الحقائق الطبيعية وأصحاب الحقائق الادبية نزاعا وقراعا لا يفتران على أن كلا من الفريقين يكافح ويقارع الآخر بأسلحة حقائقه لتستظهرها ويستنصرها فهذا يهجم بقوات الطبيعة والهيولى وذاك يهجم بقوى العقل والصواب هذا ينقض باجنحة المشاهدة والمعاينة وذاك ينقض باجنحة الاستقراء والاستنتاج وخاصة حزب الحقائق العدمية فان ايقادنيرانهم ضد حزب الحقائق الوجودية لا يفتر شراره ولا يخبو أواره ولا يزالون ساعين في تدمير معاهد الحقائق الوجودية وتهبيط كل مشاداتها لايجاد المعدوم واعدام الموجود وحسبنا شهادة كل التواريخ على ذلك

﴿بيان﴾

أنا على ما أنا من الخلق ❊ باق على مذهبي وفي طرقي
أصون عرضي وان نطقت فذا ❊ بالحق فالحق لي يفي ويقي
مالي عدو سوى الكذوب فلم ❊ يزل عدوا لصاحب الصدق
لا أكذب الله ان لي شيما ❊ تحمي في من شوائب الملق
فلا كبير سطا علي ولا ❊ يدلها منة على عنقي
ولا تسابقت في المفاخر بل ❊ سرت الهوينا وفزت بالسبق
ولا اشتريت الثناء من أحد ❊ بالمال بل بالجهاد والارق
ولا تقاعست قط عن طلب ❊ لكن دهري علي في حنق
أسقي غروسي فان أجد ثمرا ❊ أقطف والا رضيت بالورق
والقنع للنفس راحة وغنى ❊ فلا طما عيشة بلا قلق
هذي العنايا وهن بحر شقا ❊ أخوض والناس أوجبوا غرقي
ان كان لي حكمة فلي هم ❊ تسعى بها دون كل ذي حمق

أقول والقول فى فمى لهب * يسطو على الاغبياء بالحرق
قوم يزومون قفل كل فم * لذا يلومون كل ذى نطق
يباركون انغلاق منفتح * ويلعنون انفتاح منغلق
سبرت أخلاقهم فليس لنا * الا شقى يريك وجه تقى
يا أيها القاصدون غلق فمى * خبتم فهذا فم بلا غلق
هذا ى برق و جهلكم سحب * مهلا فلا برق غير منطلق
لدولة الحق سطوة قهرت * بالعزم أهل الصفاح والدرق
ليخفض الليل رفع رايته * فذاك جيش الضحى على الافق
ليل فشا الصبح شهبه واذا * ذى الشهب بهم كسين بالغسق

ايضاح

دارت على همى هموم عداتى * وجرت على كلمى كلوم وشاتى
هذا عدو بانكسار ذاهب * عنى وذا واش بعذر آت
ليت العداة علمن أن الدهر لم * يبرح بهن منفذا نفثاتى
ان كان دهرى خاننى فلانى لى * فضلا ولكن لم يخن كلماتى
يا أيها الباغون سد قريحتى * مهلا فليس يهون سد فرات
أو تطرقون عزيمتى وأمامها * رضوى يرض وطارق الأكمات
لا يشمتنكم سكونى بالردى * ان الفتى لمقدر الحركات
عودتمونى ذمكم وأنا على * ما قيل لست أحول عن عاداتى
قمتم على كأننى ملك لكم * ان الملوك تجل بالقومات
هل قد أضر بكم جميل فعائلى * معكم وهل ساءتكم حسناتى
لا تحسدونى ان أفق افاقكم * بل سابقونى والحقوا خطواتى
كل له فعل يناسب عزمه * ما كل ذى سيف بذى غزوات
شاؤل بالآلاف أقبل فاتكا * لكنما داود بالربوات
جئتم بشمشوم وجئت بهرقل * والله يعطى النصر فى الوقعات
ان كان باخ ذو العمود نصيركم * خبتم فلى زوس أبو الصعقات

وقلت

مالى وللفضل والجهالة لى * أولى فذى لذة وذا ألم
ان كان بالفضل رفع مرتبة * لم ينخفض ما جرى به القسم

يقول المتوسل بالنبى الامجد محمد البليسى بن محمد

تم بحمد الله طبع هذين الكتابين الجليلين اللذين صفيا فى فنهما صفو اللجين ولعمرى لقد أعرب فيهما مؤلفهما وأغرب وأودع فيهما وأبدع بما يحتوله كل سميذع وشنف الأسماع بمحاسن الاوضاع وقرط الآذان بلآلئ الادب وكحل العيون وأزال الغيون وأنال الارب وأقام الحجة وأبطل المحجة بالفاظ

يهتز سامعها لطيب حديثها * الاحسود ليس يعجبه العجب

تغنى النديم عن المدام وتطفئ غليل المستهام من قريحة وقاده وبصيرة نقاده وبالجملة فهما حريان بأن يطبعا بماء العيون لا بالنقوس على نحور الحور لا على الطروس ولذلك انتدب لنشر عرفهما الشذى بالديار المصريه بعد أن ملأ عبيرهما الذكى أركان البلاد الاوربا ويه الفطن النبيه الشيخ أحمد عثمان الليثى بالمطبعة الميمونة الشرفيه التى هى من أجل المطابع المصريه فجا آبحمد الله يرفلان فى حلل الكمال آخذين من التصحيح بما يطمئن له الخاطر وينشرح له البال بمشاركتى فى ذلك للفاضل الشيخ سيد حماد أصلح الله لى وله والمسلمين المعاش والمعاد وبدر بدرا لتمام أواخر ربيع الثانى من عام ١٢٩٨ ثمان وتسعين ومائتين بعد الالف من هجرة من شرف بالسبع المثانى

عليه أفضل الصلاة والسلام وعلى آله
وأصحابه واحشرنا معهم يارب فى دار
السلام بسلام

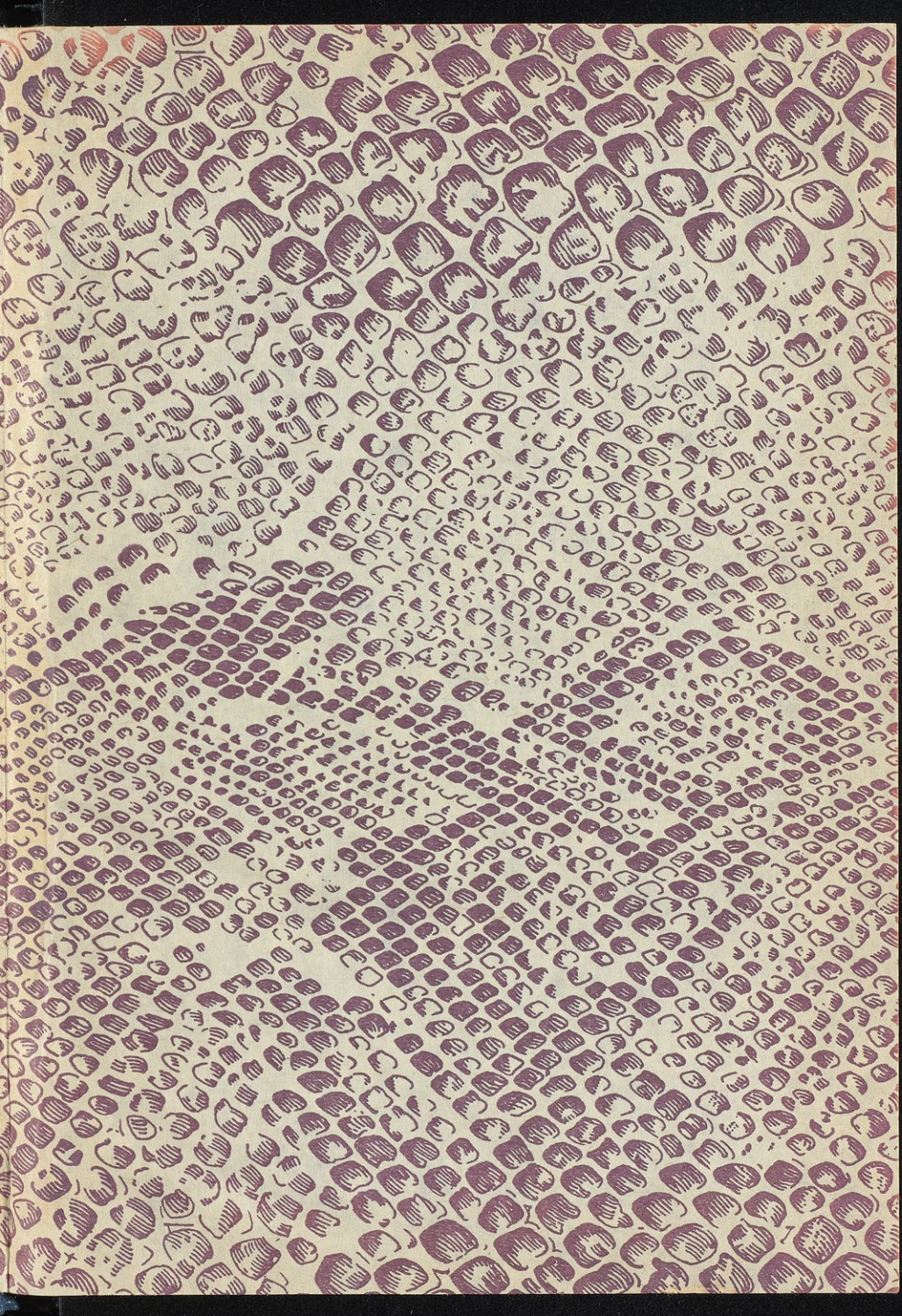

COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE
CU59575980
ME06582 Mashhad al-ahwal.